الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

خطاب الرؤى بين الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إعداد الطالبة:

رزيقة بلحوت

إشراف الأستاذ:

لخضر بولطيف

السّنة الجامعيّة: 1438-1439هـ/2017-2018م

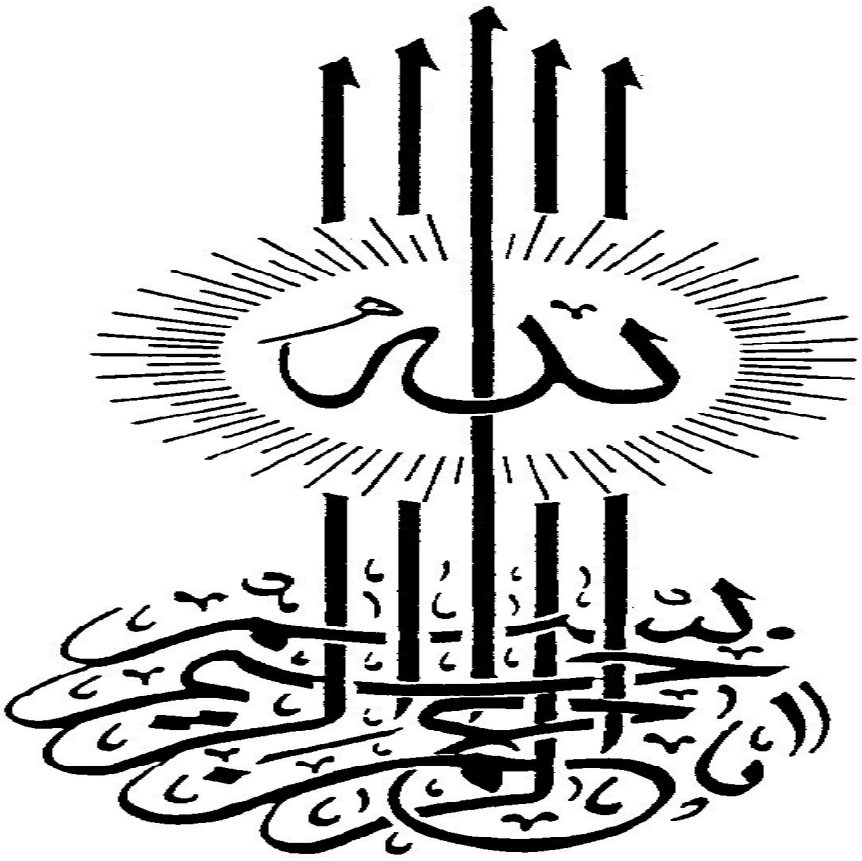

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَىَّ
لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ
ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾

الإهــداء:

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. ونصح الأمة.. إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.. إلى من أحمل اسمه بكل افتخار..

والدي العزيز

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي.. وحنانها بلسم جراحي.. إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة

إلى شمعة تنير ظلمة حياتي..

أختي الغالية: جميلة

إلى من تقاسمت معهم مشاق الحياة

إخوتي الأعزاء

إلى من سعدت برفقتها في دروب الحياة، وكانت معي على طريق الخير والنجاح

صديقتي: سمية عيش

إلى كل رفقاء الدرب

رواد المدرسة القيمية

الشكر والعرفان:

لا يسعني وأنا أنهي هذا البحث المتواضع، إلا أن أدين بالشكر والعرفان

لله سبحانه وتعالى أولا

وكل التقدير والاحترام لأستاذي

لخضر بولطيف

الذي أشرف على هذا العمل، وتابعه حتى النهاية خطوة بخطوة،

وتعهدني بنصائحه وإرشاداته

فأسمى كلمات الشكر والعرفان أرفعها إليك أستاذي،

سائلة المولى عز وجل أن يكتبها في ميزان حسناتك

والامتنان موصول لكل من كان لي معينا ومحفزا.

المقدمـــة

أولا- أهمية الموضوع وإشكالياته:

لعل اللاّفت للانتباه أنَّه وبالرغم من التطور النوعي والكمي للأبحاث التاريخية، إلا أنَّها تسير بوتيرة بطيئة، بحيث أنَّ بعض المواضيع والقضايا لا تزال تحتفظ بعذريتها، وبخاصة في حقل المخيال والذّهنيات. هذا الأخير الذي يمثل أحد تجليات التاريخ الجديد، بحيث ينقلنا دعاته من خلال مدرسة الحوليات التاريخية، التي نشأت في فرنسا بداية القرن العشرين، إلى عوالم جديدة ومفاهيم واسعة، تتعلق بالأفكار والعقليات، وهو ما دفع باتجاه الدراسات النفسية والاجتماعية، لنجد أنفسنا أمام تداخلات متشابكة مع العلوم الإنسانية؛ وخصوصًا علم النفس.

وانطلاقًا من أحد الأبحاث المهتمة بهذا الحقل[1]، والذي صرحت صاحبته بأنَّ دراسة المخيال تشكل أرضًا خصبة، لا تزال لم تستثمر بالقدر الكافي، داعية المهتمين بهذا الجانب، إلى الاتجاه بأبحاثهم إلى كشف مدى حضور الرؤى والأحلام في المخيال السياسي والمخيال الصوفي، يأتي بحثنا "خطاب الرؤى بين الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي"، كنتيجة لما أثارته الإشكالية من استفزاز لدينا، وكتكملة لما بدأت به الباحثة، محاولين سد الثغرات التي تشوب هذا المجال.

ولقد خصصنا مجال دراستنا بعصر المرابطين والموحدين (5-7هـ/11-13م)، على اعتبار أنه يعد من أثرى الفترات في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وقد اجتذب -ولا يزال- اهتمام العديد من الباحثين، ولم يتوقف التنقيب في قضاياه وظواهره المختلفة. وقد آثرنا بدورنا الخوض في الفترة نفسها، محاولين

[1] سمية مقورة: "تمثلات الثقافة الفقهية في الغرب الإسلامي وأثرها في تشكيل المخيال الجمعي"، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016، ص86.

إبراز مدى حضور خطاب الرؤى في التاريخ السلطاني، والتاريخ الوَلائي، وانعكاسه على السياق التاريخي للأحداث.

مما لاشك فيه أنَّ المغرب الإسلامي قد شهد العديد من الأحداث على مستوى التاريخ السياسي في الحقبتين المرابطية والموحدية، وعند الغوص في المدونات التاريخية، نجد أنَّه قلما جرى حدث كبير في تاريخ هاتين الدولتين، ولم تسبقه الرؤى والمنامات المبشرة به، فلخطاب الرؤى دور بارز في قولبة المشاريع السياسية، بما يخدم السياسة الرسمية للدولة، كما تطلعات المعارضة.

وفي ظل الأزمات التي شهدها عصر الدولتين المرابطية والموحدية، برز اتجاه يطمح إلى الخروج بالمجتمع من الأزمة وإصلاح أوضاعه، وهو الاتجاه الصوفي، الذي اعتمد في خطابه، ولأجل التعبير عن مواقفه، على اللغة المرموزة التي وجدت ضالتها في دهاليز المرائي والأحلام.

وعليه فإنَّ أهمية موضوعنا تكمن في دراسة جوانب خفية من التاريخ السياسي والمنقبي للحقبتين المرابطية والموحدية، متعلقة بالتصورات والاعتقادات، مبرزين مدى حضور الخطاب المرموز المستكن في الرؤى والأحلام، لدى كلٍّ من الأمراء والأولياء، ودوره في توجيه سيرورة التاريخ، والتعبير عن الأزمات والأوضاع المعيشة.

بناءً على ما ذكرنا، فإن اختيارنا لهذا الموضوع، قد دعت إليه عدة أسباب مجتمعة، لعل من أهمها:

- الرغبة في خوض غمار حقل المخيال والذهنيات، ودراسة التاريخ بعيدا عن نفحاته التقليدية، التي لطالما قدّمت في اهتماماتها شخصيات من عِلْية

القوم؛ كالملوك والقادة العسكريين، حيث هيمن الحدث السياسي والعسكري، وغلب على التحليل عاملا السرد والوصف.

- تسليط الضوء على موضوع خطاب الرؤى والأحلام، باعتباره من المواضيع المستجدة، ولا يزال يقبع ضمن دائرة اللامفكر فيه.
- البرهان على أنَّ موضوع الرؤى والأحلام يستقيم في الدراسات التاريخية، وأنه ليس حكرًا على الدراسات النفسية.
- الوقوف على مدى حضور خطاب المرائي والأحلام في حقل الممارسة السياسة الوسيطية.
- محاولة الوقوف على كيفية استغلال الصوفي لخطاب الرؤى للتعاطي مع الأزمات السياسية والاجتماعية.

وعليه فإن البحث يحاور مسألة خطاب الرؤى، حول مرجعيته وكيفية حضوره في المتخيل السياسي والصوفي، ومدى فاعليته. ويمكن صياغة الإشكالات الرئيسة التي عليها مدار هذا البحث، كما يلي:

- كيف جرى توظيف المرائي والمنامات كخطاب مرموز، عند كل من الأمراء والأولياء في الغرب الإسلامي؟
- ما مدى فاعلية الخطاب المرموز عند الأمراء في بلورة المشاريع السياسية وإضفاء الصبغة الشرعية عليها؟ أو بعبارة أخرى هل كان لخطاب الرؤى عند الأمراء دورٌ في التحكم في السياق التاريخي للأحداث؟
- ما هي المرامي والمقاصد المضمرة التي كان يصبوا إليها رجال الصوفية من لجوئهم إلى خطاب الرؤى والمنامات؟ وهل يتعلق الأمر بمحاولة الاستمداد من القدسي في تأطير الإنسي؟

ثانيا- المنهج والرؤية:

أما الرؤية فقد تعلمنا في رحاب "المدرسة القيمية" أن التاريخ يُعنى بحركة الإنسان في الزمان والمكان، وأن حراكه في عالم الشهادة لا يجعله منفصلا عن عالم الغيب، من حيث إيمانه بالخالق والسيرورة والمآل، وما لذلك من تأثيرات غير هينة على تصور الباحث لدوره في الحياة، وصلته بممارسة البحث.

وأما المنهج فقد اخترنا أن نسلك في معالجة إشكالاتنا المعلنة، سبيل المنهج التاريخي، معتمدين آلية "التتبع والاستقصاء"، لتحصيل أكبر قدر متاح من الرصيد المنامي، مما تنطوي عليه كتب الحوليات التاريخية وكذا كتب المناقب الصوفية. بينما كان معولنا على آليتي "الوصف والتحليل" في مقاربة الظواهر المتناولة، فضلا عن آلية "النقد والتمحيص" للمأثور الروائي، وإعمال آلية "المقابلة والمقارنة"، خاصة فيما يتعلق بالأحكام والفتاوى الفقهية، وتفاسير الآيات والأحاديث.

وبالنظر إلى طبيعة البحث التي يسعى إلى كشف المرموز له من المنام، كان لزاما علينا إعمال منهج التحليل النفسي في تعبير ما تحمله من رموز ودلالات، تتراوح بين كونها مستغلقة أو مشتركة المعنى، كما الإفادة بقدر الوسع من المنهج السيميائي في تأويل المرموزات، والنفاذ إلى خباياها.

ثالثا- هيكل الموضوع:

بناءً على ما جمعته وقمشته من مادة علمية حول هذا الموضوع، ارتأيت توزيع الموضوع على نحو ما يلي:

المقدمة: اشتملت على أهمية الموضوع ودوافع البحث فيه، والإشكالات التي يبحثها، والمنهج والرؤية اللذين يصدر عنهما، كما تم عرض أهم المضامين التي تناولتها مجمل أقسامه، وأهم المصادر والمراجع التي تم توظيفها.

الفصل الأول: "**مقام الرؤى والمنامات في الثقافة الإسلامية**"، حيث عنينا فيه بضبط المفاهيم والتصورات الأساسية المتعلقة بالرؤيا والحلم والمنام، في سياق جدل الغيب والشهادة، بين "المتعالي القدسي"، و"التاريخي الأرضي".

الفصل الثاني: بعنوان "**خطاب الرؤى في التاريخ السلطاني -الموضوعات والغايات-**". وفيه حاولنا الوقوف على مدى حضور خطاب الرؤى والمنامات في التاريخ السياسي، بطرحنا لمجموعة من القضايا، عملنا فيها على تعبير موضوعات المرائي والأحلام، وتأويل رموزها، وصولًا إلى غاياتها والمقصود منها، ولقد تمت معالجة المرائي في سياقها التاريخي، لكي لا نخرج عن النسق العام للمرحلة.

الفصل الثالث: بعنوان "**خطاب الرؤى في التاريخ الولائي -الموضوعات والغايات-**"، وهو على غرار سابقه، بل وفي مقابله، وقفنا فيه على جملة قضايا، مما له صلة بالحضور الصوفي في الحياة السياسية والاجتماعية، كسلطة موازية لسلطة الأمراء، ومنافسة لسلطة الفقهاء، وكانت الرؤى والأحلام سلاحا رمزيا بامتياز، استخدمه الولي بكل كفاءة لتأكيد مكانته، ومحاورة خصومه.

وفي النهاية وضعنا خاتمة للبحث، تضمنت حوصلة للنتائج الجزئية المتوصل إليها عبر مختلف أقسامه، مع محاولة التركيب فيما بينها، وكذا آفاق البحث مما يحيل على إشكالات لا يزال يثيرها مجال المخيال والذهنيات بصفة عامة، ومجال الرؤى والأحلام بصفة خاصة.

رابعا- الدراسة النقدية:

على اعتبار أن حقل اشتغالنا كان -زمنيا- ضمن الحقبتين المرابطية والموحدية، فكان لزامًا علينا أن ننهل من المظان الأساسية المواكبة للمرحلة محل البحث، إلا أن طبيعة الموضوع -من جهة أخرى- اضطرتنا إلى الاستعانة

بالمصادر غير التقليدية، مما لا يمكن الاستغناء عنه، في إنجاز بحث يهتم بخلفيات الأحداث أكثر من الأحداث نفسها، وبدلالات النصوص أكثر من النصوص نفسها، فكان أن تعاطينا مع طائفة من المصادر، تراوحت بين كونها إخبارية وتأويلية وسياقية.

1- كتب التاريخ والحوليات:

تحظى كتب الحوليات التاريخية بأهمية كبيرة في دراسة التاريخ السلطاني، ومن ثم جاء اعتناؤنا بها، سواء في استقاء نصوص المرائي والمنامات، أو في ربط هذه النصوص بسياقها التاريخي.

فكان كتاب أخبار المهدي بن تومرت للبيذق (ت 555هـ/1160م) في مقدمة المصادر المعتمدة، وهو الذي يمثل سجلا دقيقا لمجريات الحركة الموحدية من الداخل، باعتباره أحد أتباع المهدي بن تومرت، ويليه كتاب نظم الجمان لابن القطان (حي 650هـ/1252م)، والذي يعد -في الأصل- من أوسع الكتب التي ألفت في التأريخ للموحدين، خاصة وأنه جاء في مرحلة متأخرة استوفى فيها فصولا كثيرة من تاريخهم وأخبارهم، وتعود أهميته كذلك إلى كون صاحبه عاش بمراكش حاضرة الخلافة، فكان هو الآخر مقربا من الموحدين، ثم كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م)، وقد احتوى بدوره على رصيد ثري من المعلومات.

أما بالنسبة للمصادر التي أعقبت عصر الموحدين، فيأتي في صدارتها كتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي (حي 712هـ/1312م)، والذي احتفظ بمادة ثمينة، مما هو عائد إلى مصادر مفقودة. وكذلك الروض القرطاس لابن أبي زرع (ت 726هـ/1325)، وكتاب العبر لابن خلدون (ت 808هـ/1405م)، والحلل الموشية لمؤلف مجهول.

وينبغي التنويه إلى أننا تحرينا جانب الحذر في التعاطي مع هذه المصادر، سواء الموحدية في تناولها لعصر المرابطين، أو المرينية في تطرقها لعصر الموحدين، لأن المرائي يجري توظيفها دوما في سياق التزكية أو الإدانة.

2- كتب المناقب والكرامات:

تهتم كتب المناقب والكرامات بالتأريخ لظاهرة الصلاح، من خلال تقييد سير أشخاص صالحين، إلا أنها في الوقت نفسه تسوق أخبارًا ووقائع، تكشف عن دور الصوفي في المجتمع، وتبين جوانب مختلفة من علاقاته مع محيطه.

ولقد اتجهت إلى توظيف عدد من كتب المناقب للظفر بالمأثور المنامي للأولياء، كان من أهمها كتاب التشوف للتادلي (ت 628هـ/1230م)، وكتاب المستفاد للتميمي (ت 604هـ/1208م). وفائدة الكتابين مجتمعين كبيرة جدا، لأنهما تناولا عددا وفيرا من تراجم صوفية المغرب، تخللتها حكايات كرامية، ونصوص منامية، فضلا عن الفوائد التاريخية التي قدماها، والتي تساعد على فهم تطور الظاهرة الصوفية، والتعرف على أدوار الصلحاء في المجتمع.

ومن بين كتب المناقب الفردية، التي استندنا إليها كتاب المَعْزى في مناقب الشيخ أبي يعْزَى للصومعي (ت 1013هـ/1604م)، والذي عُني بترجمة أهم الشخصيات الصوفية التي كان لها دورٌ كبير في تاريخ الدولة الموحدية، بالإضافة إلى كتب أخرى منها أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ (ت 809هـ/1406م)، والذي عُني الآخر بشخصية أبي مدين.

هذا، وقد أفاد البحث بشكل خاص من كتاب الشهاب موعظة لأولي الألباب لابن سيدبونة الخزاعي (ت 624هـ/1226م)، وهو نص صوفي في السلوك

والأحوال، إلا أن صاحبه آثر تقديمه في قالب مراءٍ ومنامات، تضج بالدلالات المضمرة، والخطابات المرموزة.

3- كتب تعبير الأحلام:

نظرًا لما تحتويه المرائي والأحلام من رموز، كان ولابد من الاستعانة بكتب التعبير لتفسيرها، فاعتمدنا بالدرجة الأولى على كتب ابن سيرين (ت 110هـ/ 728م)، باعتباره الرائد في مجال التعبير، وكل المصادر التي بعده معتمدة عليه، فرجعنا إلى كتاب منتخب الكلام في تفسير الأحلام، وكتاب تفسير الأحلام، بالإضافة إلى كتاب تعبير الرؤيا لابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م)، إلا أنَّ اعتمادي على هذا الأخير لم يكن بالقدر الذي اعتمدت فيه على كتاب المرقبة العليا لابن راشد القفصي (ت 736هـ/1335م)، بحيث وجدت في نصوصه ما أعانني على تفسير مرائي الأمراء.

4-كتب التفسير والحديث:

بهذا النوع من الكتب استطعنا الوصول إلى صورة متكاملة عن الرؤى والأحلام عند أهل السنة والجماعة، فبالنسبة لكتب التفسير كان اعتمادي بالدرجة الأولى على كتاب أحكام القرآن لابن العربي (ت 543هـ/1148م)، الذي برع في نقل واستقصاء الآراء المختلفة بشأن الرؤى والأحلام، كما لم يخل من نقد وتمحيص لها. وكذلك أحكام القرآن لابن الفرس (ت 597هـ/1200م)، وهو من أبرز التفاسير الفقهية التي عرفها تاريخ المدرسة المالكية الأندلسية.

أما فيما يخص كتب الحديث، فقد أفاد البحث من كتاب المعلم بفوائد مسلم للمازري (ت 536هـ/1141م)، الذي اعتنى كثيرا بشرح الغريب، وبيان مدلول الألفاظ مع تحقيق المعنى، وهو ينقل الخلاف في ذلك ثم يرجّح المعنى، مستدلا

بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية. ومن كتاب المفهم للقرطبي (ت 671هـ/1279م)، الذي آثر جمع الروايات وتأويلها، دون تفسير البعض وترك الآخر، ولهذا السبب كان اعتمادي عليه بالدرجة الأولى، لأن الأحاديث وصلت من طرق مختلفة، فلا يمكن الأخذ برواية وتجاهل الأخرى. وكذا إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (ت 728هـ/1327م)، وقد ألف هذا الكتاب إكمالا لكتاب المعلم بفوائد مسلم للمازي، ولقد جمع القاضي عياض بين طريقة الشرح بالمأثور، وبين النقد والتمحيص، فلم يكن مجرد ناقل، بل كان ناقدا بصيرا ممحصا خبيرا.

5- كتب الفقه والمسائل:

كان معتمدنا في الكتب الفقهية على الجوامع المالكية، بحيث لم يُفرد الفقهاء بابًا خاصًا بالرؤيا، بل ضمنوه في الكتاب الجامع، الذي يجمع شتات القضايا والمسائل التي لا تناسب الأبواب التي توزع عليها المدونات الفقهية، ومن بين أهم كتب الجوامع المعتمد عليها:

كتاب ابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ/996م) الجامع في السنن والآداب والمغازي، ولقد احتوى الكتاب على العديد من المسائل المتفرقة المتعلقة بالتصورات والسلوكات، بالإضافة إلى الكتاب الجامع من تصنيفه الآخر في اختصار المدونة والمختلطة. كما اعتمدنا أيضا على كتاب البيان والتحصيل لابن رشد الجد (ت 520هـ/1126م)، إذ يعتبر محيطا بالمذهب المالكي، بما اشتمل عليه من المسائل الفقهية، ولم يكتف ابن رشد في كتابه بالنقول فقط، بل اعتنى بالشرح والتعليق وإيراد الأدلة والبراهين.

والجدير بالذكر هو أن الكتب الفقهية لم تختلف كثيرا عما جاء في كتب شروح الحديث في موضوع الرؤيا، بحيث لم تخرج عن نطاق ذكر الحديث وتفسيره، إلا أنَّ

القرافي (ت 684هـ/1285م)، في كتابه الذخيرة، خرج عن مألوف الكتب الأخرى، بطرحه لمجموعة مسائل، أثارت جدلا عند الفقهاء.

6-كتب العقيدة والأصول:

كانت في عداد مصادرنا، ولقد استعملت تبعا لمقتضيات البحث، فقد كان لزاما أن نتطرق إلى الرؤيا عند أهل التصوف والمتكلمين، بحيث أنهم تناولوا موضوع الرؤيا مع ما يتوافق ومقالاتهم العقدية، فكان في مقدمة المصادر الصوفية التي أنارت هذا الجانب من البحث، قوت القلوب لأبي طالب المكي (ت 386هـ/996م)، والرسالة القشيرية للقشيري (ت 465هـ/1072م)، وإحياء علوم الدين للغزالي (ت 505هـ/1111م).

أما فيما يتعلق بالمؤلفات الكلامية، فنجد في مقدمتها مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م)، والفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1064م)، الذي جمع بين دفتيه جل ما يتعلق بفرق الإسلام، فكانت هذه المؤلفات ذات أهمية في بحثنا، استفدنا منها موقف الفرق الكلامية من الرؤى والأحلام.

أما بشأن كتاب نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ت 548هـ/1086م)، والتنبيه والإرشاد لأبي الحجاج الضرير (ت 520هـ/1086م)، والمختصر في أصول الدين لليابري (ت 523هـ/1128م)، فلم تفدنا بالقدر الكافي، بحيث اكتفت بذكر أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والتعليق عليها بشكل مختصر.

أما عن أهم الدراسات الحديثة التي استأنس بها البحث، فكان كتاب "الأسطورة والمغرب الأقصى" لجعفر بن الحاج السلمي، خاصة في الشق السياسي، حيث أنه تطرق لعدد من مرائي الأمراء في عرضه للأساطير المغربية. وبما أننا التزمنا في

سياق بحثنا بتأويل رموز المرائي الصوفية، فقد وجدنا مجديا الاعتماد على كتاب "الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم" لعلي زيعور، وكذلك كتاب "التلقي والتأويل" لمحمد مفتاح. كما لا ننسى مؤلفات إبراهيم القادري بوتشيش، الذي حاول من خلال دراساته أن يحيط ببعض الجوانب من تاريخ المجتمع المغربي والأندلسي، ورصد الذهنيات فيه. وقد أفاد البحث من مختلف هذه الدراسات المشهود لها بالتخصص في مجالها، مما كان له الأثر الجلي في تعميق إشكالات البحث، وتنويع تخريجاته.

والواقع أن مهمتي في هذا البحث كانت شاقة وشيقة في آن واحد، إلا أن الجانب الشيق قد طغى على الشاق، فكنت خلال فترة الدراسة أعيش لذة البحث والاستطلاع، وعاش الموضوع معي في يقظتي ومنامي، وكانت السعادة تغمرني في حال توفر مادة علمية أحتاج إليها، أو عند التوصل إلى حقيقة ما، أتمم بها نقطة كنت قد بدأتها.

وفي الختام، لا أزعم أني قدمت عملاً متكاملاً، وإنما أملي أن أكون قد فتحت بابًا للبحث في موضوع حساس، ليكون بداية لدراسات جديدة، فإن وفقت فبتوفيق من الله، وبتوجيه من أستاذي، متمنية أن يسهم بحثي هذا في إثراء رصيد "المدرسة القيمية" التي أعتز بالانتماء إليها.

الفصل الأول:

مقام الرؤى والمنامات في الثقافة الإسلامية

-جدل الغيب والشهادة-

أولا: الرؤى والأحلام -المصطلح والدلالة-.

ثانيا: الرؤى والمنامات في القرآن الكريم.

ثالثا: الرؤى والمنامات في السنة النبوية.

رابعا: الرؤى والمنامات في المدونة الفقهية.

خامسا: الرؤى والمنامات في المدونة الصوفية.

سادسا: الرؤى والمنامات في المدونة الكلامية.

لما كان البشر مفطورين على حب الاستطلاع، والبحث عن المغيبات، ولو تأدّى الأمر إلى استطلاع السحرة والمشعوذين، ونحوهم ممن حرم الله إتيانهم، أوجد الله تعالى بابا بديلا شرعيا للمغيبات يلبي فضول الإنسان إلى الغيب المجهول بالنسبة له ولغيره، وهذا الباب موكَّل عنه أحد الملائكة الكرام الذين أناط الله جل جلاله بهم مسؤولية هذا الجانب الغيبي، وفيه اطلاع النّاس على بعض ما ينتظرهم من خير أو شر، ومن ضر أو نفع، ومن تبشير أو تحذير، وهذا الباب يسمى أيضا باب الرؤى والأحلام.

أولا– الرؤى والأحلام.. المصطلح والدلالة:

1– الدلالة اللغوية:

الرؤيا: الرؤيا ما رأيته في منامك، وهي الرؤى، ورأيت عنك رؤى حسنة حلمتها، وأرأى الرجل أي كثرت رؤاه بوزن رعاه، وهي أحلامه[1]، ورأى في منامه رؤيا على وزن فعلى بلا تنوين، وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين مثل رعى[2]، ويقال

[1] الجوهري: الصحاح –تاج اللغة وصِحاح العربية–، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1990، ج6، ص2349.

[2] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، أشرف على تحقيقه: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005، ص1285؛ والزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون أسود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998، ج1، ص327.

رأيته بعيني رؤية، ورأيته في المنام رؤيا، ورأيته رأي العين ورأى رؤيا حسنة، ورؤى حسانا[1].

الحُلم: بالضم ما يراه النائم، حَلَمَ بالفتح، واحتلم، وتقول حَلَمت بكذا و حَلَمته أيضا[2]، ويقال الحُلم بالضم وبضمتين: الرؤيا جمع أحلام ، حَلم في نومه واحتلم وتحلم الحلم: استعمله وحلم به وعنه رأى له رؤيا، أو رآه في النوم[3].

2- الدلالة الاصطلاحية:

عرفنا أنَّ الرؤى في اللّغة جمع رؤيا، وهي ما يراه الإنسان في منامه، فإنَّنا لا نجد فرقا بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي، وإنّما اختلف النّاس في بيان كيفية هذه الرؤى وحقيقتها اختلافا عظيما.

فقيل هي إدراك في أجزاء لم تحلها آفة كالنوم المستغرق وغيره، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل لقلة غلبة النوم، فيخلق الله للرائي علمًا ناشئًا، فيمثل له صورا محسوسة، فتارة تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود وتارة تكون لمعاني معقولة غير محسوسة، وفي الحالتين تكون مبشرة أو منذرة[4]، وقيل هي أحاديث الملك الموكل بالأرواح إن كانت صادقة ووسوسة من الشيطان والنفس إن كانت كاذبة[5].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، [د.ت]، ج18، ص154؛ والأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم المرعشلي، بيروت: دار الفكر، [د.ت]، ص188.

[2] الجوهري: الصحاح، ج5، ص1403.

[3] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ص1096.؛ وابن منظور: لسان العرب، ج12، ص979.

[4] أحمد فريد: تعجيل السقيا في تعبير الرؤيا، ط1، جدة: مكتبة الصحابة، 1998، ص8.

[5] المرجع السابق، ص7.

أما ابن خلدون (ت 808هـ/1406م)، فذكر أنَّ الرؤيا هي إحدى مدارك الغيب واستشهد بحديث "الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة"، وأنه لم يبقى من المبشرات إلا الرؤيا، وكانت الرؤيا أولى إرهاصات النبوة، فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، "ويعلل أن صلة الرؤيا بالغيب هو أنَّ النفس تجرد من نفسها صورا نفسية وعقلية عن طريق تجريد المحسوس ليكون معقولًا وخيالًا، وتلقي النفس بهذه المعقولات والخيالات إلى الحس المشترك ويراه النائم كأنّه محسوس"[1].

الرؤى والأحلام بالعموم هي ما يراه النائم في نومه من أشياء، وإن غلبت الرؤيا على من يراه من الخير والشيء الحسن، أما الحلم فقد غلب عما يراه من الشر والقبيح[2]، فكلمة حلم تحمل معنى مبخسًا وذات صلة بالشيطان والشر واللاجدوى[3].

وهذا التفريق بين الرؤى والأحلام من المصطلحات الشرعية، وإن كان كلٌ من الرؤيا والحلم من عند الله عز وجل، إلا أنَّ التفريق يشرع بين الحق والباطل بأنّ جعل الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، ويتضح أنَّ الحلم أشمل من الرؤيا في مدلوله بينما الرؤيا أصدق تعبيرا.

[1] ابن خلدون: المقدمة، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2001، ج1، ص131.
[2] محمد بن فهد بن ابراهيم الودعان: ضوابط الرؤيا، ط1، الرياض: دار كنوز اشبيليا، 2007، ص18.
[3] علي زيعور: تفسيرات الحلم وفلسفات النبوة، ط1، بيروت: دار المناهل، 2000م، ص36.

وللرؤيا ثلاثة أنواع:

1–الرؤيا الصادقة: وهي رؤيا الأنبياء، ومن تبعهم من الصالحين[1]، وهناك من النّاس من يرى الرؤيا كفلق الصبح وتتحقق حرفيا، وهذه الدرجة لا ينالها إلا عباد الرحمان الأتقياء[2].

2–أضغاث أحلام: وهي لا تنذر بشيء تأتي نتيجة لفعل الشيطان ليحزن الرائي كأن يرى أنّه قطع رأسه وهو يتبعه[3]، فبنفس الطريقة التي يدخل فيها حياة الإنسان عند اليقظة يدخل في أحلامه، وهذه رؤيا لا تحتاج إلى تأويل لأنها ليست من الله، وتهدف هذه الأحلام لتضليل الإنسان[4] .

3–**ما يحدث به المرء نفسه:** أن يرى ما تتحدث به نفسه في اليقظة، أو يتمناه، أو ما يغلب على مزاجه[5]، وهذا النوع من الأحلام لا معنى له، فهو ليس بشرى من الله، ولا رؤيا من الشيطان، وإنّما هو جزء من النشاط العادي للدماغ باعتبار أنَّ لكل عضو وظيفته الخاصة التي يقوم بها[6]، وفي هذا السياق نجد ابن خلدون ربط الرؤيا بتشوف النفس أي أنّه عندما تكون النفس متشوفة لأمر ما يقع له في النوم، لأنَّ النفس تقصد إلى ذلك فتراه، وهذا ما أطلق عليه ابن خلدون

---

[1] ابن حجر العسقلاني: الرؤى والأحلام في ضوء القرآن والسنة، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، [د.ت]، ص13

[2] أبو الفداء محمد عزت ومحمد عارف: عجائب تفسير الأحلام بالقرآن، ط1، عمان: دار يافا العلمية، 2008، ص10.

[3] ابن حجر العسقلاني: الرؤى والأحلام ، ص13.

[4] سليمان الديلمي: عالم الأحلام تفسير الرموز والإشارات، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006، ص99–100.

[5] ابن حجر العسقلاني: الرؤى والأحلام ، ص13.

[6] سليمان الديلمي: عالم الأحلام، ص.13.101

"الحالومية"[1]، ذلك أن الحالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرؤيا فإذا قوي الاستعداد كان أقرب إلى ما يستعد له[2].

عند الحديث عن الرؤيا وأقسامها يتبادر إلى الأذهان تفسير وتعبير ما تحمله من رموز ودلالات، وهذا الأمر يعتبر علمًا قائمًا بحد ذاته، وهو يحتاج إلى تدريس ولا يحصل إلا لمن اختصه الله بفضله وهدايته[3]، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ**﴾[4]، فتفسير الرؤيا لا يصدر إلا عن عالم مسلم متخصص مشهود له بالعلم والصلاح والتمكن.

يذكر ابن خلدون في مقدمته: وقد اشتهر في تعبير الرؤيا أبو طالب القيرواني صاحب كتاب "الممتع" والسالمي صاحب كتاب الإشارة وابن راشد القفصي صاحب كتاب المرقبة العليا في تفسير الرؤيا،[5] ولعل أشهر كتب التفسير هو منتخب الكلام في تفسير الأحلام لابن سيرين، ونجد كذلك كتاب تعبير الرؤيا، لابن قتيبة الدينوري، والبدر المنير للشهاب العابر، وكتاب تعطير الأنام في تفسير المنام للنابلسي، ومن هنا نصل إلى أن علم تعبير الرؤى علم شرعي إسلامي متكامل القواعد مستنبطة من القرآن والحديث النبوي.

وإذا كان ما تقدم يفيد أن الرؤى وتعبيرها علم دل عليه القرآن، إلا أن هناك من سلك منحا آخر بعيدًا كل البعد عما قدمه القرآن والسنة، واعتبر أنَّ الرؤى ظواهر سيكولوجية مألوفة وشائعة بين جميع الناس، فمن النادر جدا أن نجد إنسانًا لا يحلم.

---

[1] سمية مقورة: "تمثلات الثقافة الفقهية في الغرب الإسلامي وأثرها في تشكيل المخيال الجمعي"، ص41.

[2] ابن خلدون: المقدمة، ص131.

[3] محمد العوضي: أحكام تفسير الرؤى والأحلام في القرآن والسنة، ط1، القاهرة: مكتبة السنة، 1999، ص6

[4] سورة يوسف، الآية 6.

[5] ابن خلدون: المقدمة، ص629.

ولما كانت أغلب الأحلام غير مفهومة اعتقدوا أنَّها هلوسة[1]، هكذا ربط علماء النفس الأحلام والرؤى والرغبات المكبوتة في العقل الباطني[2]، والتي غالبا ما تتحرر حينما يغفو العقل الواعي خلال النوم، الذي يعتبر المنفذ الآخر لغير عالم الكائنات[3]، فخلاله تراجع ملكوت الضرورة، ويخلي مكانه لملكوت الحرية، وتغدو كينونة الأنا مرجعية الأفكار والمشاعر[4]، فنجد أنَّ الأحلام حسب النظرية الفرويدية هي المترجم للدوافع الغريزية التي تنضوي تحت اللاشعور[5].

ولعل النقد الذي يوجه إلى هذه النظرية أنَّها تجعل الرؤى نوعا واحدا فقط، وهذا يعني أنَّها تغفل جوانب أخرى للرؤيا ذات الأدلة الشرعية على إثباتها، وهي الرؤيا الصادقة، والرؤيا التي تكون من تهاويل الشيطان، وسبب هذه النظرية القاصرة هو عدم إيمانهم بالمغيبات، وعدم إيمانهم بالروح، فسيجموند فرويد ذهب إلى أبعد مدى في نظريته في تفسير الأحلام، فنفى نفيا تاما ما نسميه الأحلام التنبئية لأنَّها قائمة على أساس الروح، وعلى أساس صلة هذه الروح بعالم الغيب المجهول.

نحن لا ننكر أنَّ بعض الرؤى قد تكون كما جاء في الحديث، أنَّها أحاديث نفس، لكننا لا نسلم بهذه التفسيرات التي لا دليل عليها، وهذا حكم بغير برهان، وهل كل الرؤى التي يراها الإنسان تأتي نتيجة لهذه الأسباب، فلا شك أن القول بهذه

---

[1] أسامة عبد القادر ريس: الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية، ط1، السعودية: دار الأندلس، 1993، ص62.

[2] راجي عنايت: تفسير الأحلام والتنجيم، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1991، ص62.

[3] عبد الله العروي: مفهوم العقل –مقالة في المفارقات–، ط3، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2001، ص178.

[4] ايريك فروم: اللغة المنسية –مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير–، ترجمة: حسن قبسي، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2001، ص178

[5] محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي –محدداته وتجلياته–، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990، ص10.

النظرية، وحصر الأحلام في هذه الأسباب قول باطل، وتنكرها للجانب الغيبي، وما يتعلق بالرؤيا من الله، والرؤيا من الشيطان.

ثانيا– الرؤى والمنامات في القرآن الكريم:

إن منزلة الرؤى في الإسلام عظيمة، وأيُّ منزلة أعظم من مجيئها في كتاب الله عز وجل، ورد في القرآن الكريم بعض الآيات حول الرؤى خصوصا ما جرى للنبي إبراهيم حين أوحى إليه في المنام أن يذبح ابنه، وما جرى مع النبي يوسف حين اشتهر في مصر بحذقه العجيب في تفسير الرؤيا، واتخذ بعض المفسرين هذه الآيات دليلا قويا على صدق الرؤيا[1].

ومن الرؤى التي وردت في كتابه الكريم قوله عز وجل: ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾[2]، كانت هذه الرؤيا التي رآها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشارة للمسلمين لتقوية نفوسهم وتشجيعهم على القتال، فالرسول صلى الله عليه وسلم رأى أنَّ عدد الكفار قليل فأخبر أصحابه فقوت نفوسهم وتشجعت على أعدائهم، وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أبشروا لقد نظرت إلى مصارع القوم، والمراد بالقلة هنا قلة القدرة ولا تحمل على قلة العدد، فرؤياه صلى الله عليه وسلم حق، وقد كان علم أنهم ما بين تسعمائة إلى ألف فلا يمكن حمل ذلك على قلة العدد[3].

---

[1] علي الوردي: الأحلام بين العلم والعقيدة، ط2، لندن: دار كوفان، 1994، ص39–40؛ وأحمد مصطفى أبو الخير: التراث العربي في كتب تفسير الأحلام –دراسة في اللغة والثقافة والحضارة–، دمياط: مكتبة نانسي، 2006، ص22.

[2] سورة الأنفال، الآية 43.

[3] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993، ج4، ص497.

ومن المرائي التي وردت كذلك في القرآن الكريم، رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام الذي لم تكن الرؤيا بالنسبة له معلما من معالم النبوة كغيره من الأنبياء، بل كانت محور نبوته كلها، فلقد بدأت معه منذ يفاعة الطفولة، وظلت تعيش أحداث حياته ووقائعها برموز وإشارات مكثفة، فنجد قوله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾[1] حذر يعقوب عليه السلام ابنه من أن يقص رؤياه على إخوته، وذلك لما يتمتع به من رجاحة العقل وسمو فكر، فيعقوب لما استشعر أبعاد الرؤيا في المكرمة الإلاهية، والمقام الذي يمكن أن يتبوأه، وما سيجره عليه ذلك من سوآت الحقد حذرهمن أن يقص رؤياه[2]، وقال علماؤنا في هذا الصدد إنَّ يعقوب عليه السلام كان يفسر الرؤيا، ويفك رموزها واشاراتها، لأنَّ نهيه عن ذكرها وخوفه على إخوته من الكيد له من أجلها علمٌ بأنَّها تقتضي ظهوره عليهم، وتقدمه فيهم[3].

ولم يكن علم تأويل الرؤيا عند يعقوب عليه السلام فقط، بل كان سيدنا يوسف عليه السلام سيد المفسرين، فحينما كان في السجن كان يحث الذين كانوا معه على عبادة الله وحده لا شريك له، وحينما علموا أنَّه رجل صالح سألوه تأويلا لأحلامهم، قال الله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ**

[1] سورة يوسف: الآية 4–5.

[2] أبو الفداء محمد عزت ومحمد عارف: عجائب تفسير الأحلام بالقرآن، ص15.

[3] ابن العربي: أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003، ج3، ص32.

الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ففسر لهما يوسف عليه السلام الرؤيا قال تعالى: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**﴾[2]

ونجد كذلك تفسيره لرؤيا الملك قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَبَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعالِمِينَ**﴾[3] بسنين الخصب والجدب، فكان كذلك فعلا، وبطل تعبير مفسريه بقولهم أنَّها أضغاث أحلام، وذهب ابن الفرس (ت 597هـ/1200م)، إلى أنَّ هذا يبطل قول من يقول أنَّ الرؤيا على أول ما يعبر به فتأول قال: صلى الله عليه وسلم "الرؤيا لأول عابر"، فأول الأمر قالوا أنَّها أضغاث أحلام[4].

ظلت رؤيا يوسف عليه السلام في طي الأحداث ومجريات الحياة إلى أن اختتمت من قبل البارئ سبحانه بإخضاع إخوته له وإعترافهم بذنوبهم قال تعالى: ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾[5].

ومن المرائي كذلك نجد رؤيا ابراهيم عليه السلام والتي تختلف في مضمونها عن رؤيا يوسف عليه السلام من ناحية السرد والوقائع، ومن جهة التأويل، ولكنها تتفق معها في الحقيقة والأمر، فلئن كانت الرؤيا بالنسبة ليوسف عليه السلام محور

---

[1] سورة يوسف، الآية 36.

[2] سورة يوسف، الآية 41.

[3] سورة يوسف، الآية 43.

[4] ابن الفرس: أحكام القرآن، تحقيق: طه بن على بوسيح، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2006، ج3، ص220.

[5] سورة يوسف، الآية 100.

النبوة كانت لإبراهيم عليه السلام معلما من معالم نبوته ابتلي وامتحن فيها[1] قال تعالى:﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

جاء في تفسير هذه الآية أنَّ رؤيا الأنبياء وحي ، لأنَّ الرؤيا إما أن تكون من غلبة الأخلاط كما يقول الفلاسفة، وهذا ليس عند الأنبياء، واما أن تكون حديث نفس، ولم يحدث ابراهيم قط نفسه بذبح ولده، واما أن تكون من تلاعب الشيطان، فليس للشيطان على الأنبياء سبيل في تخييل ولا تلاعب[3]، وهذا ما أورده ابن العربي (ت 543هـ/1184م) في تفسير هذه الآية، ووضح أنَّ رؤيا الأنبياء وحي من الله عز وجل فأخذ ابراهيم وابنه عليهما السلام بظاهر الرؤيا وعدم معارضتهما دليل على علمهما أن الرؤيا أمر من الله، وهي وحي فاستسلما لقضاءه وقدره، فلما اعتقدا الوجوب وتهيأ للعمل أعطى سبحانه وتعالى محلا للذبح فداءا عن ذلك المرئي في المنام.

ولعل ما نستشفه من هذه الآيات أنَّ حقيقة علاقة الرؤى والأحلام بعلم الغيب واضحة وجلية للعيان، فهي من الطرق الشرعية التي جعلها الله سبحانه عز وجل للوصول إلى الغيب بمعرفة ما سيحصل من خيرأو شر، وذلك يخص الأنبياء عليهم السلام، فلقد كانت الرؤى معجزة لبعضهم بل كانت حتى محور النبوة ككل وبناءا على ذلك لا سبيل لإنكارها ورد الدلائل القائمة عليها.

---

[1] أبو الفدا عزت ومحمد عارف: عجائب تفسير الأحلام بالقرآن، ص14.

[2] سورة الصافات، الآية 102–105.

[3] ابن العربي: أحكا م القرآن، ج4، ص32؛ وأبو عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، بيروت: درا الكتب العلمية، 2001، ص481.

ثالثا– الرؤى والمنامات في السنة النبوية:

الرؤى كانت قبل الاسلام مشاركة في دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ورد عنه أنه قال: " اني عبد الله خاتم النبيين، وأن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، ودعوة أبي ابراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين"، وأن أم الرسول صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام[1].

فإنَّ من تعظيم قدر الرؤيا، والدلالة عليها ما جاء في السنة المطهرة أنَّها جزء من أجزاء النبوة[2]، ومذهب أهل السنة والجماعة في حقيقة الرؤيا، أنَّ الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يجعلها في قلب اليقظان، فسبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فإذا خلق هذه الاعتقادات، فكأنه جعلها علما على أمور أخر يخلقها في ثاني حال، أو كان قد خلقها[(3)].

لكن لا يمكن تعميم هذا التعريف، فعند القول بأنَّ الرؤيا اعتقادات يخلقها الله في قلب النائم، فبماذا نفسر رؤى الأنبياء التي كانت وحيا من الله عز وجل، فيتضح أنَّ هذا التعريف فيه بعض الاشكالات، ولا يمكن القول بأنّ رؤى اعتقادات مخلوقة إلا إذا استثنينا رؤى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وللغوص أكثر في حقيقة الرؤى عند أهل السنة والجماعة لا بد من استعراض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلقد أفرد المحدثين في مؤلفاتهم بابا خاصا

---

[1] أحمد بن سليمان العريني: الرؤى والأحلام في سنة هادي الأنام، تقديم: عبد الله بن محمد الغنيمان، ط1، الرياض: درا الوطن العربي، 1996، ص17–18.

[2] المرجع السابق، ص27.

[3] محمد العوضي: أحكام تفسير الرؤى والأحلام، ص24؛ وأحمد عبد العال الطهطاوي: تفسير الأحلام من كلام الأئمة الأعلام (محمد بن سيرين–البخاري–ابن حجر) –تفسير أحلام المرأة–، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005، ص14؛ وعبد المنعم الهاشمي: رؤيا الأنبياء والصالحين، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 2002، ص8.

بالرؤيا ضمنوه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسل، فمن ذلك أنَّ الإمام البخاري (ت 256ه/869م) رحمه اله في كتابه الجامع الصحيح ، وضع كتابا للتعبير أي تعبير الرؤيا وذكر فيها عددا من الأبواب:

الباب الأول: أول مابدئ به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي وذكر قول سيدتنا عائشة رضي الله عنها " أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح"[1]، فإنّ أول ما يوتى به الأنبياء في المنام حتى تهدأ قلوبهم، ثمّ ينزل الوحي بعد ذلك في اليقظة[2]، فالرؤيا الصالحة هي أول مراتب الوحي.

والرؤيا الصالحة الصادقة قد يراها الرجل المسلم والكافر، والناس كلهم، إلا أنَّ ذلك يقع لهم في النادر، والوقت دون الأوقات، وخص النبي صلى الله عيه وسلم بعموم صدق رؤياه كلها، ومنع الشيطان أن يتمثل في صورته لئلا يتسور بالكذب على لسانه[3].

كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف ما للرؤيا من قيمة، وأنّها من علم الغيب ويمكن أن يستفاد منها في التنبؤ بما سيأتي، ونجد ذلك فيما يروي أبو هريرة رضي الله عنه من أنَّ الرسول صلى الله عليهخ وسلم كان إذا انصرف من صلاة الغذاة يقول: "هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟ ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة"[4]، فكان عليه الصلاة والسلام يسألهم عن ذلك لما كانوا عليه من صلاح

---

[1] أخرجه البخاري في باب: أول ما بدىء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي، من صحيحه الجامع، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، الرياض: كتب الأفكار الدولية، 1998، ص1334.

[2] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة، [د.ت]، ج1، ص9.

[3] ابن بطال: شروح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر، الرياض، مكتبة الرشد، ج9، ص511.

[4] أخرجه مالك بن أنس في باب: ما جاء في الرؤيا من الموطأ، تحقيق: سليم بن عبد الهلالي السلفي، دبي: مجموعة الفرقان التجارية، 2003، مج4، ص421.

وصدق، إن قد علم أنَّ رؤياهم صحيحة وأنَّه يستفاد منها للإطلاع على كثير من علم الغيب، وليبين لهم بالفعل الاعتناء بالرؤيا والتشوف لفوائدها، وليعلمهم كيفية التعبير[1].

وفي نفس السياق نجد قوله صلى الله عليه وسلم يقول: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا مالمبشرات؟ قال الرؤيا الصالحة "[2]، وهذا يعني أنَّ الوحي ينقطع بموتي ولا يبقى ما يعلم به ما سيكون إلا الرؤيا[3].

ومن الأحاديث التي تؤكد على صحة الرؤيا، وأنّها وحي من الله عز وجل: "الرؤيا جزء من ستة وعشرين جزءا من النبوة"[4]، وفي رواية أخرى "رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة "[5]، ومن أشهر الرّوايات التي اتفق عليها من حديث أبي هريرة ، قوله صلى الله عليه وسلم: "الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة"[6]، وجاء في رواية أخرى "الرؤيا جزء من سبعين جزءا من النبوة"[7].

ولقد كثرت أقوال العلماء في توجيه هذه الروايات، فيميل البعض إلى رواية ستة وأربعين جزءا على غيرها، لأنَّها في نظرهم هي الأشهر والأصح، فيذكر القاضي عياض (ت 544ه/1149م) أنَّ جل المحدثين والمحققين أجمعوا أنَّ الأصح

---

[1] القرطبي: المفهم، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط1، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005، ج6، ص24.

[2] أخرجه البخاري في باب: المبشرات، من صحيحه الجامع، ص1335.

[3] السيوطي: التوشيح– شرح الجامع الصحيح –، تحقيق: رضوان جامع، ط1، السعودية: مكتبة الرشيد، 1998، ص4092.

[4] ابن عبد البر: التمهيد بما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد ومحمد عبد الكريم البكري، الرباط: المكتبة العامة، ج1، ص282.

[5] أخرجه الترمذي في باب: ما جاء في تعبير الرؤيا، من جامعه، الرياض: بيت الأفكار الدولية، ص337.

[6] أخرجه البخاري في باب: الرؤيا الصالحة، من جامعه الصحيح، ص1335.

[7] أخرجه القرطبي في باب: الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوة، تلخيص صحيح مسلم، تحقيق: رفعت فوزي وأحمد إبراهيم، ط2، القاهرة: دار السلام، ص998.

جزء من ستة وأربعين، فلا يلزم على العلماء أن يفرقوا كلّ شيءجملة وتفصيلا، فقد جعل الله حدًا للعلماء تقف عنده[1]، ويذكر المازري (ت 536ه/1141م) أنَّ الأكثر والأصح عند أهل الحديث من ستة وأربعين[2] .

في حين ذهب ابن حجر العسقلاني (ت 852ه/1148م) في كتابه فتح الباري: "هذا تفسير باطل لأنَّه يفتقر إلى نقل صحيح ولا يوجد"[3]، ويذكر القرطبي (ت 671ه/1272م) أن التأويل يكون بجع شتات الأحاديث، وهو أولى من تفسير بعضها دون بعض[4].

وبهذا الشكل تظاهرت الرّوايات بين من يؤيد الترجيح، فرجحوا رواية ستة وأربعين جزءا، وهناك من ذهب إلى الجمع بين الروايات وتفسيرها، وهو الأرجح لأنَّ الحديث وصل بروايات مختلفة في صحيح البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد... فلا يمكن تجاهل الأحاديث الأخرى والأخذ بحديث واحد واعتبارها بدون معنى، وما يمكن قوله أنَّ الأهم في هذا الحديث هو معرفة أنَّ الرؤيا جزء من أجزاء النبوة.

وللرؤيا ثلاثة أنواع كما ذكرنا سابقا: الرؤيا الصالحة، أضغاث أحلام، وما يحدث به المرء نفسه، وهذه الأنواع لم تأت من فراغ بل استخلصوها من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا، والرؤيا ثلاثة، فرؤيا صالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان،

---

[1] القاضي عياض: إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحي إسماعيل، ط1، المنصورة: دار الوفاء، 1998، ج7، ص212.

[2] المازري: المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: محمد الشاذلي، ط2، تونس: الدار التونسية، 1987، ج3، ص205.

[3] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج1، ص364.

[4] القرطبي: المفهم، ج6، ص26.

ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره، فليقم فليصل، ولا يحدث بها النّاس"[1] .

ولقد فسر الأُبي المالكي (ت 728هـ/1327م) قول النبي صلى الله عليه وسلم "أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا"، بأنّ غير الصادق يعتري الخلل رؤياه من وجهين أحدهما أنَّ تحديثه نفسه يجري في نومه على ما جرى في عادته من الكذب فتكون رؤياه كذلك، والثاني قد يحكي رؤياه ويسامح في زيادة أو نقص، أو تحقير أو تعظيم فتكذب رؤياه[2] .

أما في تفسير أقسام الرؤيا الثلاثة فقيل أنّه حين كان غالب على حالة الصدق في يقظته استصحب ذلك في نومه، فلا يرى إلا تخليطا أو أضغاثا[3]، أما بخصوص الأضغاث فحذر الرسول صلى الله عليه وسلم من تحديث النّاس به، واعتبرها تلاعب من الشيطان[4]، وفي نفس السياق ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ الشيطان لا يتمثل به في المنام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رآني في المنام فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثل بي"[5]، فرؤياه صلى الله عليه وسلم لا تكون أضغاثا، وإنَّما تكون حق، وقد يراه الرائي على غير صفته المنقولة إلينا، أو يراه رائيان في زمان واحد أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، ويراه كلّ واحد منهما معه في مكانه[6] .

---

[1] أخرجه مسلم في باب: تحريم اللعب بالنردشير، من جامعه الصحيح، الرياض: بيت الأفكار الدولية، 1998، ص93؛ وابن ماجه في باب: الرؤيا ثلاث، من سنن ابن ماجه، الرياض: بيت الأفكار الدولية، ص146.

[2] الأبي: إكمال إكمال الأكمال، بيروت: درا الكتب العلمية، [د.ت]، ج6، ص72.

[3] القرطبي: المفهم، ج6، ص29.

[4] المازري: المعلم بفوائد مسلم، ج3، ص208.

[5] أخرجه مسلم في باب: من رآني في المنام فقد رآني، من جامعه الصحيح، ص931.

[6] المازري: المعلم بفوائد مسلم، ج3، ص206.

رابعا– الرؤى والمنامات في المدونة الفقهية:

لم يخصص العلماء في مدوناتهم على غرار المحدثين بابا خاصا بالرؤيا بل ضمنوه في الكتاب الجامع، لكنهم نهجوا نهجهم في ايراد أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والتعليق عليها، وما ركز عليه الفقهاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة"، وكذلك قضية تعبير الرؤيا، وما يفعل الرائي إذا رأى ما يكره.

فذكر ابن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ/996م) في تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ الرؤيا لا تخرج على ما يعبر فتكون جزءا من خمسة وأربعين جزءا، ومن ستة وأربعين جزءا أو من سبعين، إذ لوخرجت كلها على ما تعبر كانت كالنبوءة في الإخبار بالمغيبات، وهذا هو الفرق بين رؤيا الأنبياء ورؤيا الناس، لأن رؤيا سائر النّاس قد تخطأ في تأويلها فلا تخرج على ما تعبر والعكس، وما يصاب في تأوله منها هو الجزء من النبوة لكونه في معنى النبوة، وهذا الأمر أن كانت من الرجل الصالح، وإن لم تكن فلا يقال فيها[1].

وبهذا كان لإبن أبي زيد القيرواني منحى آخر في تفسير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بعيدا على ما قدمه المفسرون الّذين سلطوا الضوء على تحديد نسبة الأجزاء من النبوة، وترجيح وجمع الرّوايات في حين ربطها ابن أبي زيد القيرواني بمسألة التعبير وإن كانت من الرجل الصالح.

[1] ابن أبي زيد القيرواني: الجامع في سنن والآداب والمغازي والتاريخ، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983، ص261.

وذكر في مسألة تعبير الرؤيا "أنّه لا يعبرها من لا علم له بها، ولا يعبر على الخير وهي عنده على الكروه"[1]، وذكر في كذلك قيل لمالك: أيفسر الرؤيا كلّ أحد؟ قال أبالنبوة يلعب، قال قال مالك: لا يعبر الرؤيا إلا من أحسنها، فإذا رأى خيرا أخبره، وإن رأى مكروها فليقل خيرا أو ليصمت[2] .

وذهب القاضى عبد الوهاب (ت 422ه/1030م) إلى نفس الأمر وسلط الضوء حول مسألة تفسير الرؤيا، وأكد أن لا يفسرها من لا علم له بها، وذكر قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾[3].

ويذكر ابن رشد الجد (ت 520ه/1126 م) في قوله صلى الله عليه وسلم: "الرؤيا الصالحة من الله"، أنَّ المعنى فيه الرؤيا الصالحة، وهي الحسنة التي تبشر بالخير في الدنيا والآخرة لا مدخل للشيطان فيها[4]، ونجد كذلك في نفس السياق ما ذكره ابن شاس (ت 616ه/1219م) أن الرؤيا الصالحة هي ما كانت من الله للرجل الصالح وتكون جزءا من أجزاء النبوة، وقد تكون الرؤيا من الشيطان ليحزن بها الرائي، ولا يضره إذا امتثل لما أمر به[5].

أما القرافي (ت 684ه/1285م) فقد نحا منحا مخالفا لمن سبق ذكرهم بحيث لم يكتف بذكر بعض المسائل الأساسية حول الرؤيا في الكتاب الجامع، بل أورد

---

[1] ابن أبي زيد القيرواني: الرسالة في فقه الإمام مالك، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1971، ص123.

[2] ابن أبي زيد القيرواني: اختصار المدونة والمختلطة، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط1، الدار البيضاء: دار الجيل، 2013، ج4، ص692.

[3] القاضي عبد الوهاب: المعونة على مذهب عالم المدينة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998، ص69.

[4] ابن رشد الجد: البيان والتحصيل الشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق: محمد حجي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988، ج17، ص261–262.

[5] ابن شاس: عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعبد الحفيظ منصور، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995، ج3، ص530.

مجموعة من المسائل أثارت جدلا بين العلماء ومنها مسألة رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآن الواحد في مكانين: يذكر فأجاب الصوفية بأنَّه عليه السلام كالشمس ترى في أماكن عدة وهي واحدة، وهو باطل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يراه زيد في بيته ويراه الآخر بمحلته داخل بيته أو في مسجده، والشمس لاترى إلا في مكان واحد، فظهر أن الحق ما يقوله العلماء، وهو أن المدرك للمثل لا نفس الحقيقة[1].

ويذكر مسألة: قال العلماء لا تصح رؤية النبي صلى الله عليه وسلم قطعا إلا لرجلين، صحابي رآه أو حافظا لصفته حفظا حصل له من السماع، فيرى النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه أبيض أو أسود، قلت لبعض مشايخي فكيف يبقى المثل مع هذه الأحوال المضادة؟ قال لي لو كان لك أب شاب فغبت عنه ثم جئت لوجدته شيخا ألست تشك فيه، فقلت لا، فقال لي ما ذاك إلا لما ثبت في نفسك من مثاله، فكذلك من ثبت في نفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشك فيه مع تغير الأحوال وإلا فلا يثق بأنه رآه[2].

وذكر النفراوي (ت 1162ه/1651م) في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب"، وظاهره ولو لم يكن من أهل التعبير لأنَّه لا يجوز له التعبير اعتمادا على مجرد ما يراه في كتب التفسير لإحتمال اختفاء قيد، ولإحتياط لمن رأى ما يحب كتم ما يراه إلا عن حبيب، عالم بتأويل

[1] القرافي: الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994، ص272.
[2] المصدر نفسه، ص273.

الرؤيا بخلاف المكروه، فإن المطلوب من بعد قيامه الصلاة والسكوت عن التحديث بما رأى[1].

خامسا– الرؤى والمنامات في المدونة الصوفية:

ذهب المتصوفة إلى أن النوم يقظة واليقظة نوم، فالنفس البشرية مشغولة أثناء اليقظة بصور المحسوسات وهموم البدن، وهي عندئذ نائمة لا تفهم سوى ما يأتي به الحس من أوهام وأباطيل، أما في النوم فيتجلى عن بصرها الغشاء وتحلق في السماء طليقة لا يشغلها شاغل[2] .

فالنوم عندهم مثل البرزخ هو بين الدنيا ولآخرة، وكذلك بين الحياة والموت، فإذا انكشف حجاب النوم ظهرت الدنيا بالحكمة، وكذلك انكشف الغطاء، فصارت الدنيا كالأحلام[3].

وذهب الغزالي (ت 505ه/111م) إلى أن "النوم بحر لا تنحصر عجائبه، وكيف لا وهو أخو الموت، فهو يشبهه في كشف الغطاء عنعالم الغيب"[4].

إلا أنَّ اعتقادهم بالنوم هذا يربطونه بالطهارة، " فإذا نام العبد وهو على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت له رؤيا صادقة، وأن لم ينمعن طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتكون مناماته أضغاث أحلام ولا تصدق"[5].

---

[1] النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة بان أبي زيد القيرواني، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ج2، ص560؛ وابن حمامة المغراوي: غرز المقالة في شرح غريب الرسالة، تحقيق: الهادي حمو ومحمد أبو الأجفان، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص287.

[2] علي الوردي: الأحلام بين الأحلام والعقيدة، ص39.

[3] أبو الطالب المكي: قوت القلوب، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، القاهرة: دار الرشاد، 1991، ج1، ص73.

[4] الغزالي: إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، 1912، ج4، ص506.

[5] السهروردي: عوارف المعارف، بيروت: دار المعرفة، 1982، ص184؛ وأبو الطالب المكي: قوت القلوب، ص75.

وعند الخوض في مفهوم الرؤيا عند الصوفية، نجد أنَّها عند القشيري (ت 465ه/1072م) "صدق وتأويلها حق، وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب وأحوال يخلقها الله في قلب المؤمن"[1]، في حين ذهب الغرالي " إلى أنَّها من دقائق العلوم المكاشفة ومن عجائب صنع الله تعالى، وبدائع فطرة الآدمي، وهي من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والخلق غافون عنها كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم"[2].

يتجلى من خلال هذه التعريفات أنَّ للرؤيا أهمية كبيرة عند الصوفية، فهم يعتبرونها من علوم الغيب والمكاشفة، فالصوفي يوليها منزلة أولى من حيث الايمان بها على أنَّها نافذته أ و جسر بينه وبين الغيب، ومن الأدلة التي تؤكد اعتمادهم عليها أنهم وضعوا لها صيغا وأدعية وصلوات نصوا على أنَّها من الأسباب الجالبة لتحصيل الرؤى المنامية، وغالبها تتعلق برؤية النبي صلى الله عليه وسلم.

فقد ذكر النبهاني (ت 1849ه/1932م) في كتابه سعادة الدارين أربعين فائدة ما بين الصلوات والأدعية لتحصيل الرؤى المنامية، التي غالبها تتعلق برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك: "من أراد أن يرى الله مناما أو النبي صلى الله عليه وسلم مناما فليصل عليه يوم الجمعة ألف مرة بهذه الصيغة " اللهم صل على سيدنا محمد الأمي"[3] .

وبهذا الشكل بنى المتصوفة على الرؤى كثيرا من عقائدهم، ويستندون عليها كذلك في ترويج مقولاتهم، ونسج الفضائل والمناقب لشيوخهم أو ما يعرف

---

[1] القشيري: الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة: دار المعارف، [د.ت]، ج2، ص559.

[2] أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج4، ص559.

[3] النبهاني: سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين، بيروت: دار المعرفة، 1900، ص488.

بالكرمات، هذه الأخيرة التي ربطها الصوفية بالرؤيا، بل واعتبروا الرؤيا وجها آخر للكرامة، فهما يتفقان ويستندان، ويكملان بعضهما البعض لقيامهما على المبدأ عينه، فالصوفي برؤياه يحل كل مشكلة، ويعطي الرد على كل غامض وسؤال ويغطي كل عجز، فالكرامة إما تكون بإجابة الدعاء أو تكون بالرؤيا[1].

وعند الغوص أكثر في باب الكرامات[2] نجد منها: معرفة ما سيكون في المستقبل، كشف أحوال الموتى ومعرؤفة حالهم، ونجد كذلك الصوفي يأتي أتباعه في المنام ليسدي لهم الارشاد، فيقر هذا على عمله، ويؤنب ذاك فكأن تأثيره لا ينقطع.

وفي باب معرفة أحوال الموتى، نجد ما روي عن عبدة العابده رحمها الله قالت: لما حضرت وفاة رابعة العدوية[3]، قالت يا عبدة لا تؤذني بموتي أحدا وكفنيني في جبتي هذه، وهي جبة من شعر كانت تصل بها بالليل، قالت فكفناها في تلك الجبة، وفي خمار من صوف كانت تلبسه، قالت عبدة رأيتها في منامي بعد دفنها وعليها حلة استبرق وخمار من سندس أخضر لم أر قط شيئا أحسن منها، قالت: فقلت لها يا رابعة ما فعلت بتلك الجبة الت يكفناك فيها والخمار الصوف، قالت: نزعهما الله عني واستبدلت بهما هذا الذي ترين علي[4] .

---

[1] علي زيعور: الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم– القطاع اللاوعي في الذات العربية–، ط2، الرياض: دار الأندلس، 1984، ص253.

[2] من التكريم والإكرام: كل فعل خارق للعادة ظهر عل يد عبد ظاهر الصلاح في دينه متمسك بطاعة الله في أحواله، ينظر اللائكي: كرامات أولياء الله– إظهار آيات أصفيائه من الصحابة والتابعين والخالقين لهم ومن بعدهم من المتأخرين – ، تحقيق: أحمد حمدان، ط1، الرياض: دار طيبة، 1992، ص14.

[3] رابعة بنت إسماعيل العدوية، صالحة مشهورة من أهل البصرة ومولدها بها، لها أخبار في العبادة والنسك ولها شعر، توفيت بالقدس سنة 135ه، ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر [د.ت]، ج2، ص283؛ والذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط3، بيروت: دار الرسالة، 1985، ج10، ص241.

[4] ابن الخراط: العاقبة –الموت والحشر والنشور–، تحقيق: عبد الله أبو عبد الرحمان المصري الأثري، ط1، طنطا:دار الصحابة للتراث، 1990، ص132.

وبهذه الرؤيا يمكن معرفة أن رابعة العدوية في الجنة مرتدية السندس والاستبرق وهي في عليين، وهذا ما يسعى الصوفية لإثباته، وهو أنَّ الزاهد والمتصوف في الدنيا يكون في عليين في الآخرة، ويسوقون هذه الخطابات على شكل رؤى، وفي نفس السياق نجد كذلك ما ذكره أحمد بن محمد الكندي حيث قال: رأيت أحمد بن حنبل في النوم، فقلت يا أبا عبد الله ما فعل الله بك، فقال: غفر لي، ثم قال: ياأحمد ضربت في ستين سوطا؟ فقلت نعم يا رب، قال هذا وجهي لقد أبحتك فانظر إليه [1].

وأقر الصوفية أنَّه بالمنام لا يعرف فقط حال من في الجنة، بل يمكن معرفة حال من هم في النار، فيروى عن بعض الصالحين من أهل القيروان قال: كان لي جار فذكرناه ليس بمسلم فمات، فرأيت في النوم حجرا فلم يتدحرج حتى وصل إلى باب ذلك الرجل فدنوت منه فان بالحجر قد انفرج منه رجل، وهو ذاك الرجل، فقلت له: ما هذا؟ فقال: هكذا نحن نعذب، وذكر سوء حاله، فقلت له: لعل الله أن يغفر لك، فقال: وكيف يغفر لي، وأنا قدمت على غير إسلام[2].

وبهذا الشكل غلا الصوفية في الرؤى، حتى أنهم جعلوها مصدرا يقينيا للتلقي، فنجد حتى أنَّ أكثر الطرق الصوفية تنشأ نتيجة لرؤيا رآها شيخ يدعي أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم حضه بشيء من الدعوات والصلوات، ومن أكثر المسائل التي لاقت جدالا عند جمهور المسلمين جواز رؤية الله في المنام[3].

---

[1] ابن قيم الجوزية: كتاب الروح، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، جدة: دار عالم الفوائد، ج1، ص85.

[2] ابن الخراط: العاقبة، ص137.

[3] إن أقوال أهل العلم حول رؤية الله في المنام كلها تصب في منحى واحد وهو جواز رؤيته عز وجل، ينظر أسامة عبد القادر ريس: "الرؤى والأحلام بين النصوص الشرعية ومدرسة التحليل النفسي"، مذكرة ماجستير، قسم علم النفس، جامعة أم القرى بالسعودية ، 1990، ص115.

فذهب الصوفية في هذا الأمر إلى أنَّه يجوز رؤية الله في المنام على صورة جميلة لأنَّ مُثل المرئي مثال ما يخلقه الله تعالى على قدر استعداد الرائي ومناسبته، وليس الحقيقة الذاتية لأن الله منزه عن الصورة، وعلى هذا القياس يجوز أن يرى في صورة مختلفة على قدر استعداد الرائي، ولا يرى الحقيقة المحمدية إلا الوارث الكامل في عمله وعلمه وحاله وبصيرته ظاهرا وباطنا[1].

ولعل ما يتبين لنا أن الرؤى والمنامات مصدر تلق عند الصوفية، وهذا المصدر عندهم لا يتطرق إليه شك، بل هو من الأمور اليقينية والعقائد الراسخة.

سادسا– الرؤى والمنامات في المدونة الكلامية:

لقد مثلت الفرق الكلامية موقفا مغايرا فيما يتعلق بالرؤى والمنامات، ونجد ذلك خاصة عند المعتزلة، والقدرية، والجهمية والأشاعرة.

فذهب أكثر المعتزلة إلى أنَّ ما يراه الانسان في منامه إنَّما هو تخيلات باطلة لا حقيقة لها، ولا تدل على شيء[2]، وهذا قول مناف لما دل عليه كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من أنَّ الرؤيا تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي: الرؤيا الصادقة، والتي منها رؤيا الأنبياء والتي هي وحي، ورؤيا الحق، وأضغاث أحلام.

يذكر ابن حزم (ت 456ه/1063م) في كتابه أنَّ صالح قبة تلميذ النظام، ذكر أنَّه من رأى نفسه وكأنه بالصين وهو بالأندلس، فإنَّ الله عز وجل اخترعه في ذلك

---

[1] عبد القادر الجيلاني: سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج الله الأبرار، تحقيق: خالد محمد عدنان الزراعي ومحمد غسان نصوح عزفول، ط1، دمشق: دار ابن القيم، دار السنابل، 1993، ص135.

[2] أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1949، ج2، ص107.

الوقت بالصين، فيقول أبو محمد: هذا القول في غاية الفساد، لأنَّ العيان والعقل يضطران إلى تكذيب هذا القول ويبطلانه[1].

فالمعتزلة بنفيهم للرؤى كانت حجتهم، أنَّ الإدراك الصحيح لا يتأتى للإنسان إلا في اليقظة حتى يكون العقل في عنفوانه، وهم يقولون بأنَّ الإدراك والنوم ضدان لا يجتمعان، وليس من الممكن في نظرهم أن يدرك العقل حقائق الكون أثناء نومه، وعلى قدر الإنتباه يكون الإدراك.

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية (ت 728هـ/1328م) "وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم انكار رؤية الله يعني في المنام حيث قالوا: لا يجوز أن يعتقد العبد أنه رأى ربه في المنام فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون رؤية الله في المنام رؤية صحيحة كسائر من يرى في المنام، فهذا ما تقول المتجهمة، وهو با طل مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عامة عقلاء بني آدم"[2].

أما بالنسبة للقدرية، فذكر ابن العربي: "قد قيل أنَّ الرؤيا لا حقيقة لها وهم القدرية وهذا حماق"[3].

وقريب من قول المعتزلة السابق في حقيقة الرؤيا، ما ينسب إلى الأشاعرة، فقد ذكر الإيجي (ت 756هـ/1355م) في كتابه "المواقف في علم الكلام" أنَّ قول

---

[1] ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصرو عبد الرحمان عميرة، ط2، بيروت: دار الجيل، 1992، ج5، ص123.

[2] ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية، تحقيق: يحيى بن محمد الهنيدي، السعودية: منشورات الشؤون الإسلامية، 2005، ج1، ص 327.

[3] ابن العربي: عرضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، [د.ت]، ج9، ص 130.

المعتزلة والأشاعرة في الرؤيا بأنها خيال باطل[1]، فما يفهم من ذلك أنَّ الأشاعرة قد نحوا منحى المعتزلة في انكار ونفي الرؤيا.

أما المدونة الكلامية، فنجد أنَّها على غرار المدونات الأخرى، كانت الرؤيا حاضرة فيها بايراد أحاديث النبي صى الله عليه وسلم، والتعليق عليها حسب ما يتفق ومعتقداتهم، فسلطوا الضوء على حديث "الرؤيا جزء من أجزاء النبوة"، فذكر الشهرستاني (ت 548ه/1126م) أنَّ النبوة جملة ذات أجزاء، وتلك المجموعة بمجموعها لا تتحقق إلا لمن اصطفاه الله تعالى لرسالته، وبعض أجزائها قد ثبت للصالحين من عباده، فيبغون إلى ذلك الجزء بطاعتهم وعبادتهم، أما مجموعها فلا يصل إليه أحد بكسبه استطاعته[2].

وأما أبا الحاج الضرير (ت 520ه/1126م) فذكر أنَّ مسألة الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح، فاذا كانت من الرجل الصالح كانت رؤيا صادقة، وإن كانت من رجل غير صالح لا يؤخذ بها وتعتبر رؤيا من الشيطان[3]، وذهب في حقيقة الرؤيا الى أنَّها معرفة وادراك للحقيقة، وذكر بأنَّ أنباءها الصحيحة قد وردت في صحيح مسلم والبخاري من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فهي جزء من النبوة الصريحة.

[1] الإيجي: المواقف في علم الكلام، ط1، مصر، : مطبعة السعادة، 1907، ج6، ص111.

[2] الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، نشره: ألفرد جيوم، ط1، القاهرة: منشورات مركز الثقافة الدينية، 2009، ص644.

[3] أبو الحجاج الضرير: التنبيه والإرشاد، تحقيق: سمير قوبيع وآخرون، ط1، الرباط: منشورات وزارة الشؤون الإسلامية، 2014، ص 158.

ويذكر اليابري (ت 523ه/1128م) أنَّ الدلالة على صحتها رؤيا إبراهيم عليه السلام، ورؤيا يوسف، والأخبار في هذا من الصحابة والتابعين كثيرة[1].

بعد هذا الإستعراض لتصورات ومواقف متعددة في موضوع الرؤى، من خلال كتاب الله وسنة الرسول صل الله عليه وسلم، وفهم السلف الصالح، ومع ايراد مختلف الآراء والتخريجات يمكن القول:

أنَّ تسمية الرؤيا وحيا لا يعني أنَّها معصومة من الخطأ، أو أنَّها مصدر تلقي، وليس لأحد أن يطلق القول بأنَّ ما يقع له أنَّه وحي لا في اليقظة ولا في المنام، لأنَّ الوسواس غالب على الناس.

هذه هي حقيقة الرؤى وأقسامها وعلاقتها بالنبوة كما سبق وأن ذكرنا فينبغي للمسلم أن يكون وقافا عند كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يجاوزه بإفراط، ولا يقصر عنه بتفريط فكلا الأمرين تضييع لشرع الله عز وجل، وعدم تعظيم له.

[1] اليابري: المختصر في أصول الدين، تحقيق: محمد الطبراني، ط1، الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع، 2013، ص228.

الفصل الثاني:

خطاب الرؤى في التاريخ السلطاني

-الموضوعات والغايات-

أولا: في حيازة السلطة.

ثانيا: في تحقيق الانتصار.

ثالثا: في التعالي بالسياسي.

رابعا: في حِدْثان الدول.

تعد الرؤى والمنامات واحدة من أهم الحقول الرمزية التي استند إليها الخطاب السياسي في تمرير الكثير من الرسائل من أجل إضفاء المشروعية على المشاريع السياسية، وبناء الأرضية الخصبة لها، ويكون ذلك عن طريق تلفع السياسي بعباءة الصوفي، وإيراده لمنامات تفيد المعرفة القبلية سواءً التبشيرية أو الإنذارية، فقلما جرى حدث كبير في تاريخ المغرب، ولم تسبقه الرؤى والمنامات الصادقة المبشرة به.

أولا– في حيازة السلطة:

رأى أبو بكر بن عمر اللمتوني (448–470هـ/1056–1077م) في منامه: "بقرتين يخير فيهما، فيضع يده على أحدهما، فيقال له: هذا الّذي أخذت هو الملك، والذي تركت هو الولد"[1].

إذا ما ذهبنا إلى تفسير هذه الرؤيا نجد أن البقرة في المنام "مال ورفعة"[2]، لكن ليس من الضرورة بمكان أن يكون المال والرفعة لصاحب الرؤيا، بل يمكن أن تكون قد رئيت لشخص آخر، وهذا ما نجده إذا ما ربطنا المنام بالسياق التاريخي.

[1] ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، ط3، بيروت: دار الثقافة، 1983، ج4، ص17.

[2] ابن راشد القفصي: المرقبة العليا في تعبير الرؤيا –تفسير الأحلام–، تحقيق: عبد الباسط قوادر، ط1، لبنان: دار ومكتبة بيبليون، 2010، ص228؛ وابن سيرين النابلسي: معجم تفسير الأحلام، أعده: باسل البرسي، ط1، أبو ظبي: مكتبة الصفا، دمشق–بيروت: اليمامة، 2008، ص151.

يذكر ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/1312م)، لما كان أبو بكر بن عمر اللمتوني أميرا على المغرب وصله خبر إغارة جدالة على إخوانه في الصحراء، فبعث إلى أشياخ لمتونة ليستخلف أحدهم فأطرق الجميع رؤوسهم، فصلى أبو بكر اللمتوني، ودعا الله أن يسمي له رجلا صالحا يستخلفه، فهتف به هاتف مرعوبا، فقال من هو هذا الغائب، فأنساه الله ذكر يوسف بن تاشفين (470–480هـ/1077–1087م) إلى أن وصل المغرب في تلك الأيام، وحضر بين يدي أبي بكر اللمتوني، فقال له: أنا أكون خليفتك إن شاء الله، فولّاه الملك بعده[1]، خاصة وأنّه طلب في الدعاء رجلا صالحا، وذلك ما وجده في يوسف بن تاشفين، "فقد كان رجلا صالحا عادلا شجاعا، أيمن الناس نقيبة وأسعدهم ولاية وألزمهم صبرا"[2].

بعد أن استخلف يوسف بن تاشفين على الحكم غلب على أكثر بلاد المغرب، واستوثق أمره به[3]، ويذكر المؤرخون أنّه قد عقد النية على أن يختص نفسه بالمغرب، فيصبح أميرا عليه[4].

ولما سمع أبا بكر بن عمر بضخامة ملك يوسف بن تاشفين وما فتح الله عليه من بلاد المغرب أقبل إليه من الصحراء ليعزله ويولي غيره، فأحس يوسف بن

---

[1] ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص71.

[2] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص252؛ وابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثالث منه، المنشور بعنوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964، ص234.

[3] ابن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط: صور للطباعة والوراقة، 1972، ص134؛ والسلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997، ج2، ص21.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430–515هـ/1038–1121م)، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988، ص106.

تاشفين ذلك، فاستشار زوجته زينب النفزاوية[1]، إذ كان يرجع إليها في عظائم الأمور ويعتمد على نصحها، وحسن سياستها، فأشارت عليه أن يستقبل أبا بكر بالجفاء والغلظة، ويشعره بقوة السلطان ويلاطفه مع ذلك بالهدايا والطعام بما يصلح للصحراء، حتّى يعرف غرضه، وقالت له إنّ ابن عمك رجل متورع من سفك الدماء ولا تسهل عليه الفتنة[2].

فلما قرب الأمير أبو بكر بن عمر خرج يوسف إليه فالتقاه في الطريق، فسلم عليه وهو راكب، فنظر الأمير أبو بكر كثرة جيوشه، فقال له يا يوسف ما تصنع بهذه الجيوش كلها؟ قال أستعين بها على من خالفني، فارتاب أبوبكر من سلامه عليه راكبا ومن جوابه...فعرف أنّه لن يتخلى عن حكمه، فودعه وانصرف إلى الصحراء وأقام يجاهد الكفرة إلى أن استشهد سنة (480هـ/1087م)[3]، وخلص الأمر ليوسف بن تاشفين، الذي استبد بملك المغرب كله لا ينازعه منازع ودانت له البلاد[4].

بعد عرض هذه الأحداث التاريخية نجد أنَّ الشخص الذي رُئيت له المنامة هو يوسف بن تاشفين الّذي كُتب له أن يضع يده على البقرتين معا المال والرفعة أو بالأحرى الملك ووراثته، ففي عهده استمر في حكم المغرب والأندلس ثلاثين سنة، فلم يكن لِيَهون عليه أن يترك أمر خلافته لنظر الأمراء المرابطين بعد وفاته، بل بادر في سنة 496هـ/1102م إلى إعلان ابنه علي بن يوسف وليا لعهده، واستمر

[1] زينب النفزاوية كانت زوجة سابقة للأمير أبي بكر، وتعرف الكثير من طباع هذا الأمير وخاصة إيثاره للزهد والبعد عن سفك الدماء، ويظهر ذلك من ردها على تخوف الأمير يوسف بن تاشفين، ينظر: ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص23؛ وابن أبي زرع: الروض القرطاس، ص125.

[2] ابن عذارى:" البيان المغرب، ج4، ص23–24؛ وابن أبي زرع: روض القرطاس، ص135.

[3] ابن عذارى: البيان المغرب، ج4، ص25.

[4] ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، تونس: مطبعة الدولة التونسية، 1869، ص102.

الحال كذلك إلى أن توفي يوسف فأصبح علي أميرًا للمسلمين (500–537هـ/ 1106–1143م)، وتلقب بلقب أبيه[1].

إذا ما فُسّرت هذه الرؤيا كخطاب سياسي نجد أنّها سيقت لإضفاء الصبغة الشرعية على حكم يوسف بن تاشفين، وأنَّه لم يأخذ الحكم عنوة، خاصة وأنَّه برحيل أبي بكر بن عمر إلى الصحراء انقطعت أخباره ، ولم يصل منه إلا هذا المنام الّذي أورده ابن عذارى المراكشي[2]، فلا بد من أن يكون في أمر خلافة يوسف بن تاشفين، فلا يمكن أن تمر حادثة كهذه في تاريخ بلاد المغرب ولا يُساق فيها منام لتزكيتها.

وفي نفس السياق وفي موضوع حيازة السلطة، نجد ما يذكره ابن خلكان (ت 618هـ/1282م)، عن ابن تومرت (ت 524هـ/1130م)، "وكان قد رأى هو بلاد المشرق كأنّه شرب ماء البحر كرتين"[3].

والبحر في التأويل سلطان مهيب قوي، وهو دال على كلّ من له سلطان على الخلق كالملوك والسلاطين، ومن رأى أَنّه شرب حتّى ارتوى، فإنّه ينال الملك مالا يتمول به مع طول حياته وقوته[4]، وابن تومرت في منامه شرب مرتين، وهذا يدل على الارتواء.

---

[1] مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف مابين عصري المرابطين والموحدين، تقديم: محمد بن عبود، ط1، تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1999، ص17.

[2] جعفر بن الحاج السلمي: الأسطورة والمغرب الأقصى –دارسة تنسيقية تفسيرية لتاريخ المغرب الأسطوري وجغرافيته–، ط1، تطوان: جمعية أسمير، 2013، ص112.

[3] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص45.

[4] ابن سيرين والنابلسي: معجم تفسير الأحلام، ص122–123.

ويذكر كذلك ابن رشد القفصي (ت 736ه/1335م) في تأويل شرب ماء البحر قائلا "إن جعلنا البحر ملكا فالسمك جنوده ورعيته، وإن جعلناه علما فهي علومه وتلاميذه"[1]، انطلاقا من هذا التفسير، نجد أنَّ هذا المنام جاء في إطار دعم المشروع السياسي لإبن تومرت، وبناء الأرضية الخصبة له، فشربه لماء البحر كرتين يشير إلى أنّه سيكون إمام الدولة في السياسة، ويبني دولة العدل، إمام الدولة في العلم بأن يكون هو المتصرف في دولته تفسيرا وتأويلا.

"فلما كانت سنة 510ه/1116م، وبعد غياب دام عشر سنوات"[2] عاد ابن تومرت إلى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا واريا من الدين[3]، فاستطاع بذكائه أن ينتبه لنقطة ضعف النظام المرابطي الذي كان قائمًا على إيديولوجية دينية، متمثلة في السير على نسق الفقه المالكي بالمضمون والصياغة الذي كان يوجد عليهما علماء الأندلس، وتلامذتهم من المغاربة[4].

فعمل على شن ثورة ثقافية كبرى ساهمت في بلورة ثقافة إسلامية مغربية مميزة، "فاحتل بطرابلس أول بلاد المغرب مفتيا بمذهبه... وأخذ على نفسه بتدريس العلوم"[5]، "ولما وصل المهدية تسامع أهل البلد فقصدوه يقرأون عليه أنواع العلوم"[1]،

---

[1] ابن راشد القفصي: المرقبة العليا، ص206؛ والشهاب العابر: البدر المنير في علم التعبير وشرحه، تحقيق: حسن بن محمد جمعة، ط1، بيروت: مؤسسة الريان، 2000، ص263.

[2] لخضر بولطيف: فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، الجزائر: دار الصديق، 2015، ص103.

[3] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2000، ج6، ص302.

[4] محمد زنبير: "الخلفية الاجتماعية الثقافية لحركة المهدي بن تومرت"، مجلة المناهل (الرباط) ، ع1982/24، ص121.

[5] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص302.

وحين دخل تونس كان طلبتها يأتون الإمام رضي الله عنه يأخذون عنه العلم، كما كان فقهاء المدينة أنفسهم يأخذون عنه العلم أياما عديدة، وفي قسنطينة أيضا كان الطلبة الذين بها يأتون المعلوم يقرأون عليه[2].

ولما نزل بجاية أظهر تدريس العلم، وبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان مأوى لأهل الخير والعلم فذاع صيته وتهافتوا عليه[3]، فكان بالنسبة لأهل المغرب عامة محط أمال الراغبين في الاستزادة من العلم التواقين إلى التبحر فيه[4].

بهذا الشكل يكون قد وصل إلى مبتغاه بأن يكون إمام الدولة في العلم، إلا أنّه لم يصل إلى مبتغاه في السلطة التي كان يطمح إليها، والذي أفضى إلى ذلك هو تمام أجله[5]، فتوفي قبل أن يتم له الانتصار ونفوذه لم يتجاوز الجبال المحيطة بتينملل[6]، بعد أن هزم أصحابه في معركة البحيرة[7].

لكن هدف ابن تومرت لم ينقض بموته، وواصل أتباعه من بعده، ووصلوا إلى توحيد بلاد المغرب وتأطيره، وبهذا الشكل يكون المهدي بن تومرت "قد عمل على

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ج9، ص195.

[2] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، الرباط: دار المنصور،1971، ص 11–12.

[3] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ذ، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ص66، 67

[4] الحسين بولقيطب: "ابن تومرت وتجديد الفكر الإسلامي"، مجلة الاجتهاد (بيروت)، ع1993/20، ص61.

[5] لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص164.

[6] حصن في أعلي جبال درن، ما لمخلوق عليه من سبيل لانقطاعه بالانجراف والمهاوي من جميع الجهات ولا يعبر إليه أحد إلا على جسر يرفع عند الحرب؛ ينظر: ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970، ص 125.

[7] وقائع معركة البحيرة، استعرضها البيذق في أخبار المهدي، ص 59–60؛ وابن القطان: نظم الجمان، ص 160–163–165–166.

تقرير القواعد وتمهيدها، وترتيب الأحوال وتوطيدها"[1]، ليأتي من بعده سراج الموحدين عبد المؤمن بن علي (524–558هـ/1130–1163م)، هذا الأخير الّذي ما فتئ موضوع المرائي والمنامات يزاوله حتّى استنفذ على الحكم وأرسى قواعده.

يذكر البيذق (ت 555هـ/1160م)، مؤرخ البلاط الموحدي عن عم عبد المؤمن بن علي أنّه أخبره أنَّ أمه قد رأت وهي حامل به أنَّ النار تخرج منها وتحرق المشرق والمغرب والقبلة والجوف[2]، وينقل البيذق كذلك عن عم عبد المؤمن بن علي أنّه قال له: ولقد رأيت في أمرك موعظة كنا نحصد الزرع وأمك حامل بك، فجاءت للفدان، واضطجعت نائمة، فأقبل بندان من النحل، فنزلا على أمك، فلما خلقت أنت أتت أمك للفدان، فلقطت السنبل وتركتك نائما، فنزلا عليك بندان من النحل وافترقا فرقتين واحدة للمشرق وأخرى للمغرب، فقال على "الله أكبر" هذا الّذي قال الفقيه بتلمسان[3].

انطلاقا من هذه المعطيات نجد أنّه كان لعبد المؤمن بن علي في مولده آيتان، الأولى هي آية النار الخارجة من بطن أمه في منامه، والنار رمز للملك، يذكر ابن سيرين (ت 110هـ/728م) النار دالة على السلطان كجوهرها وسلطانها على ما دونها مع ضرها ونفعها[4]، فأن تخرج النار من بطن أم عبد المؤمن هذا دال على أنّه أنّه سيولد ملك عظيم يدين له المشرق والمغرب.

---

[1] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص55.

[2] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص15.

[3] المصدر السابق، ص 15؛ ويورد ابن خلكان رواية أخرى للمنام، ج3، ص 237–238.

[4] ابن سرين: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، تحقيق: محمود طعمه حلبي، ط5، بيروت، دار المعرفة، ص 202؛ وابن سيرين والنابلسي: معجم تفسير الأحلام، ص1222.

أما الآية الثانية فهي التفاف النحل على والدته وهي حامل به، ثمّ التفاف النحل على ولدها وافتراقه إلى المشرق والمغرب، والنحل يدل على الرئاسة وكثرته تدل على كثرة الجيش[1]، وهذا يرمز إلى أنّه سيكون قائدا عسكريا كبيرا تأتمر بأمره جيوش منظمة هائلة، ويفضي ذلك إلى أن عهده سيكون عهد القوة والانتصار.

تواصلت المرائي والمنامات بشأن عبد المؤمن، ويسردها البيذق في سياق لقائه مع المهدي فلا شك أنَّ لقاء المهدي بخليفته قد غير مسار التاريخ المغربي، وقد أحست الأسطورة بخطورة هذا اللقاء، وخطورة نتائجه، فعملت على تصويره بطريقتها، وجعلت منه سردا خياليا ممتعا[2].

يذكر البيذق "... وذلك أن الحق تبارك وتعالى أزعج أمير المؤمنين مع عمه رضي الله عنهما من بلده نحو المشرق، فجد حتى وصل متيجة، فنزل بها عند الفقيه أبي زكريا وأخيه صنع ، فأقام بها أياما حتى أنَّ الله تعالى أرى منامه للخليفة رضي الله عنه، وذلك أنَّه رأى صحفة من الطعام على ركبتيه يأكل منه كافة الناس، فلما أصبح قال لعمه يا عم رأيت كذا وكذا، فقال أكتم رؤياك، وارتحلا حتى وصلا لبني زلودي، فرأى المنامة بعينها إلا أنَّ صحفة الطعم كانت على رأسه والناس أجمع يأكلون منها، فأعلم عمه، فلما أصبحا أقبلا يجدان السير حتى نزلا بجاية ونزلا بها في مسجد الريحانة، فلما صليا الصبح سمعا الناس يقولون سيروا بنا نحو الفقيه، فقال لهم الخليفة ومن الفقيه؟ قالوا له السوسي، هو عالم المشرق والمغرب، وما مثله إنسان، فقال لعمه سر بنا إن شاء الله "[(3)].

---

[1] ابن راشد: المرقبة العليا، ص232.

[2] جعفر بن الحاج السلمي: الأسطورة والمغرب الأقصى، ص140.

[3] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص15؛ وابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1973، ج1، ص409.

ويضيف "أنَّه لما وصل الخليفة رضي الله عنه بجاية، وجن عليه الليل قرأ حزبه وصلى ورده في تلك الليلة، فرأى الرؤيا بعينها، إلا أنَّ الناس يبايعونه، فلما أفاق أعلم عمه بها، فقال له اكتم هذا الأمر"[1].

إذا ما ذهبنا إلى تفكيك رموز هذه المرائي وتعبيرها، نجد أنَّ عبد المؤمن بن علي قد خرج مع عمه يريد الشرق، فلما وصل متيجة رأى منامته الأولى، وفيها أنَّه رأى على ركبتيه صحفة طعام والناس يأكلون منها، "والصحفة في المنام هي رزق الإنسان"[2]، والطعام كله رمز للخصب والخير، وذهب جعفر بن الحاج السلمي، إلى افتراض أنَّ الطعام الذي رآه البطل الأسطوري كان الكسكس، لأنَّه طعام البركة عند المغاربة، والكسكس في المنام حسب ما ذكره صاحب الكتاب نقلا عن ابن جابر الغساني (ت 827هـ/1423م) في كتابه المرقاة العليا:

والأكل من كسائس عجيبة دليل طيب العيش الخصيبة[3].

فما يفهم من هذا المنام أنَّه جاء في سياق تبشير المغاربة بأنَّ بلاد المغرب في فترة حكم عبد المؤمن ستعم بالخير والخصب والبركة، وسينالهم ذلك، خاصة وأنَّ صحفة الطعام التي رئِيت كانت على ركبتيه، ثم تكررت المنامة وصارت الصحفة على رأسه، وهم يأكلون منها، أما المنامة الثالثة فكانت في بجاية عندما عزم أن يزور المهدي، فرأى الناس يبايعونه، فصرحه المنامة الثالثة على ما لمحت له المنامات الأولى.

ويسوق عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1249م) رواية أخرى كمنامة عبد المؤمن بن علي، وهو في قرية فنزارة من بلاد متيجة، وبهذه القرية له حكاية

[1] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص15.

[2] المصدر السابق، ص15.

[3] ابن سيرين والنابلسي: معجم تفسير الأحلام، ص573.

طريفة، وذلك أنَّه وهو بها "رأى في المنام كأنَّه يأكل مع أمير المسلمين علي بن يوسف في صحفة واحدة، قال ثم زاد أكلي عن أكله وأحسست من نفسي شرها إلى الطعام، ولم يزل ذلك بي، إلى أن اختطفت الصفحة بين يديه وانفردت بها، فلما انتبه قص الرؤيا على رجل كان يقرأ عليه اسمه عبد المؤمن بن عشير، فلما أتى على آخرها قال: يا بني هذه الرؤيا لا ينبغي أن تكون لك، إنما لرجل ثائر، يثور على أمير المسلمين، فيشاركه في بعض بلاده، ثم يغلبه بعد ذلك عليها كلها، وينفرد بمملكتها[1].

وهذه المنامة اختلفت على المنامات الأولى، فكان مدلولها واضح المعنى، فمشاركته للطعام مع الأمير المرابطي ثم استحواذه له، يشير إلى أنَّه يستحوذ على بلاد المغرب، وينهي الوجود لمرابطي، "وعبر له ابن تومرت مرائيه بأنَّه سيملك الأرض"[2].

ولعلنا نستشف بعد فك رموز هذه المنامات وتعبيرها أنها قد جاءت في سياق التبشير بعبد المؤمن، وأنَّه الأحق بين أتباع المهدي بن تومرت بالحكم بعده، واللافت للانتباه أنَّ أغلب مرائي عبد المؤمن بن علي جاء بها البيذق[3]، مؤرخ البلاط الموحدي، فاغلب الظن أنَّه ساقها من أجل تقوية مركزه في ظل الصراع الذي نشب حول خلافة ابن تومرت.

---

[1] عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1983، ص249.

[2] ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص410.

[3] خيال البيذق –في هذا الميدان– خصب جدا بالخوارق التي عَلمها أو علَّمَها، وهي بطبيعة الحال داخلة في نطاق الدعوة التي قامت عليها سياسة الموحدين أول الأمر من مهدوية وعصمة، وما يحيط بها من تكهنات بالمستقبل الذي ينتظر الأفراد والجماعات التي تدخل في فلكها وتؤيدها قولا وفعلا؛ ينظر: عبد القادر زمامة: "البيذق والمهدي بن تومرت"، مجلة المناهل (الرباط) ، ع1979/16، ص208–209.

فبعدما توفي المهدي بن تومرت تشوف كل واحد من العشرة إلى الخلافة بعده، وكانوا من قبائل شتى، وأحبت كل قبيلة من قبائل الموحدين أن يكون الخليفة منها، وأن لا يلي عليها أحد من غيرها فتنافسوا في ذلك وتحاسدوا[1].

لكن المعروف أنَّ المهدي بن تومرت كان قد اختار عبد المؤمن بن علي لكي يكون خليفته، فيذكر ابن خلكان "ورأيت في كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب أن محمد بن تومرت قد اطلع من علوم أهل البيت على كتاب يسمى الجفر[2]... وفيه أيضا أنَّ استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه اسمه (ع.ب.د.م.و.م.ن.) ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة[3].

ويذكر عبد الواحد المراكشي كذلك أنَّ المهدي لما رآه عرفه بالعلامات التي كانت عنده، فقد كان ابن تومرت أوحد عصره في علم خط الرمل[4]، إلا أنَّ هذه الأحداث التي صورها المؤرخون القدامى لم تكن بتلك الأهمية في حين وقوعا، بل استمدت أهميتها لاحقا من الدور الذي لعبه عبد المؤمن بن علي في التمكين لحركة الموحدين ضد المرابطين[5].

بعد هلاك ابن تومرت أفضى الأمر إلى عبد المؤمن بن علي واستولى على ملك اللمتونيين[6]، وأجمع على غزو بلاد المغرب 534-451هـ[1].

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص184.

[2] الجفر كتاب ينسب إلى جعفر الصادق (ت 168هـ/784م) يُخبر ببعض المغيبات وهو مكتوب في جلد ثور صغير، ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص415.

[3] ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص47-48.

[4] عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص246.

[5] مصطفى بنسباع: السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف، ص37.

[6] ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص410.

ثانيا– في تحقيق الانتصار:

يذكر صاحب الحلل الموشية (حي 783هـ/1381م)، أنَّ الأذفنش ملك قشتالة رأى في منامه قبل وقيعة الزلاقة[2]، بشهر أنَّه راكب على فيل وإلى جانبه طبل معلق وهو يضربه، فاستيقظ فزعا[3]، فقص رؤياه على القسيسين، فلم يعرفوا تأويلها، فأحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا، فقصها عليه، فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه، فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز، وهو قوله تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ**﴾ [سورة الفيل:1]. وقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرٍ**﴾ [سورة المدثر:8-10] ، ويقتضي هلاك الجيش الذي جمعته[4].

لقد رأى الأذفنش في منامه رمزان الطبل والفيل، وهما من رموز الثقافة الإسلامية، لأجل ذلك عجز القسيسون عن فك المرموز له، فرؤية الفيل في المنام يدل على الدمار[5]، ورؤيته في غير بلاد الهند شدة وفزع[6]، وإن رُئِي في أرض

---

[1] الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق: محمد ماضور، ط2، تونس: المكتبة العتيقة، 1966، ص7.

[2] الزلاقة: أرض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها الوقعة الشهيرة، أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع الأذفنش ملك الإفرنج: ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت: دار صادر، 1977، مج3، ص146.

[3] مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1979، ص54.

[4] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص447-448.

[5] ابن سيرين: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ص270.

[6] ابن راشد القفصي: المرقبة العليا، ص238.

الحرب كانت الدبرة على أصحاب تلك الأرض[1]، أما الطبل فصوته باطل، ومن رأى كأنَّه يضرب بالناقوس فإنَّه يفشى بين الناس خبرا باطلا[2].

بهذا الشكل حملت المنامة في طياتها الانتصار للمسلمين والهلاك للجيش النصراني، فنتيجة القتال تحسم في المنام قبل أن يحسمها العساكر في ساحة المعركة.

ولم يكن هذا المنام الوحيد الذي رُئي، بل كانت هناك مرائي أخرى عُبِّرت لصالح المسلمين وانتصارهم في المعركة، فيذكر المقري (ت 1041ه/163م)، "رأى الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي[3] (ت 479ه/1086م)، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فبشره بالفتح والموت على الشهادة"[4]، فكان هذا المنام الثاني الذي جاء في سياق انتصار المسلمين في المعركة.

وله تفسيران، التفسير الأول يفضي إلى أن المسلمين منتصرين في المعركة لا شك في ذلك، فرؤيته صلى الله عليه وسلم حقٌ لا مراء فيه، والتفسير الثاني هو إثبات صلاح الرائي الفقيه أبو العباس أحمد بن رميلة، فرؤيته لا تكون إلا لصحابي رآه، أو من عرف صفته بالسماع المتواتر حتى صارت تلك الصورة في نفسه[5].

---

[1] ابن قتيبة الدينوري: تعبير الرؤيا، تحقيق: ابراهيم صالح، ط1، دمشق: دار البشائر، 2001، ص184.

[2] ابن سيرين: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ص229.

[3] أحمد بن رميلة بن فرج الأنصاري، يعرف بابن رميلة من أهل قرطبة، يكنى أبا العباس كان معتنيا بالعلم وصحبة الشيوخ، وله شعر حسن في الزهد، وكان كثير الصدقة، وفعل المعروف، استشهد بالزلاقة، ينظر: ابن بشكوال: الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم محدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق: بشار عواد، ط1، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2010، ج1، ص112.

[4] المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1988، ج4، ص365.

[5] ابن راشد القفصي: المرقبة العليا، ص151.

انتهت المعركة لصالح المسلمين، وباتوا في تلك الليلة على خيولهم يقاتلون، ويأسرون ويغنمون، ويشكرون الله تعالى على ما منحهم[1]، فكانت الزلاقة للمرابطين وباب دخل منه يوسف بن تاشفين للإستيلاء على الأندلس وضمها إلى مملكته.

فبعد أن دانت لهم مملكة قشتالة، بدأوا يطوون الممالك الأخرى مملكة مملكة، إلى أن دانت لهم الجزيرة بأجمعها، واستوثق الأمر بيد يوسف بن تاشفين بعد القبض على المعتمد، هذا الأخير الذي رأى في منامه قبل الكائنة العظمى على بني عباد بأشهر يسيرة، وهو بمدينة قرطبة، كأنَّ رجلا أتى صعد المنبر واستقبل الناس ينشدهم رافعا صوته:

رب ركب قد أناخوا عيسهم في درى مجدهم حين سبق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم حين نطق

فما كانت إلا أشهر يسيرة حتى وقع لهم وأبكاهم الدهر كما قال[2].

لعل ما يلفت الانتباه بعد استعراض هذه المنامات، أنَّه بمجرد دخول يوسف بن تاشفين إلى الأندلس حتى انطلقت المنامات تبشر وتنذر بامتلاك المرابطين لها" وهذا الأمر له دلالته السياسية والثقافية، إنّه يعني أنَّ تدوين المنامات، كان أمرا رسميا أو شبه رسمي في دولة المرابطين لأنَّه يخدم سياستها الرسمية، كما يعني أنَّ علم تعبر الرؤيا، بما يتضمنه من رموز، قد استغل في صناعة المنامات المؤيدة للمرابطين، ولعل هذا أحد الأسباب التي جعلت الأساطير السياسية المغربية تميل إلى توظيف المنامات ورموزها في كتابة التاريخ"[3]، فالمعروف أنَّ المنامات تفيد المعرفة القبلية،

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، صص137؛ وابن القاضي: جذوة المقتبس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، الرباط: دار المنصور، 1973، ص546.

[2] عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص136.

[3] جعفر بن الحاج السلمي: الأسطورة والمغرب الأقصى، ص117–118.

وكل المنامات المذكورة تشير إلى أن انتصار المسلمين ورفع راياتهم، فالأندلس أي بالعموم تصب في صالح يوسف بن تاشفين، والهدف منها هو إضفاء المشروعية لفتوحاته وأنَّ الغيب تدخل فيها.

يذكر عبد الله بن بلقين الصنهاجي (ت 483هـ/993م)، آخر ملوك غرناطة، متحدثا عن بعض القادة المرابطين، "والعجب منه في تلك المدة أنَّه أتاني بسفر كبير، وقال لي اقرأه، فإنّ فيه جميع الأعلام التي رأت الناس بملك الأندلس وفيه عباراتها"[1].

ما يلاحظ من هذا القول أنَّ المرابطين اهتموا بتدوين المنامات وجمعها في أسفار، وخاصة المنامات المؤيدة لهم، لأنَّ ذلك يخدم سياستهم الرسمية، إلا أنَّ هذا السفر المنامي لم يصل إلينا، وكل ما وصل من المنامات، هو ما ذكر في المدونة التاريخية.

ومن المعارك التي شهدتها الأندلس كذلك معركة الأرك[2]، بقيادة المنصور الموحدي (580–595هـ/1184–1199م)، الذي خرج سنة 591هـ/1194م من مراكش إلى الأندلس يرسم عزوة منها[3].

ومعركة كهذه شهد لها التاريخ، لا بد ن منام يرسم نهايتها، فيُذكر أنَّ" المنصور الموحدي أمير المؤمنين بات ليلة الجمعة راكعا ساجدا يدعوا الله لتأييد المسلمين، فلما كان عند السحر غلبته عيناه، فنام في مصلاه قليلا، ثم انتبه فرحا

---

[1] الأمير عبد الله: التبيان –مذكرات الأمير عبد الله–، تحقيق: ليفي بروفنسال، مصر: دار المعارف، 1955، ص159.

[2] هو حصن منيع من قلعة رياح أول حصون أذفونش بالأندلس، ينظر: الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984، ص27.

[3] ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ص557.

مستبشرا، فبعث إلى أشياخ الموحدين والفقهاء، فدخلوا عليه، فقال لهم، إنما بعثت لكم لأبشركم بما بشرت به من نصر الله في نومي، فلقد رأيت كأن بابا قد فتح في السماء، ونزل منه فارس على فرس أبيض، حسن الوجه والرائحة، بيده راية خضراء منشورة قد سددت الأفق من عظمها، فسلم علي، فقلت له من أنت يرحمك الله؟ فقال أنا ملك من ملائكة السماء لأبشرك بالفتح لك ولعصابتك المجاهدين الذين آتوا تحت رايتك في الشهادة راغبين، ولثواب الله تعالى2 طالبين، فأيقنت بالفتح والظفر إن شاء الله[1].

إذا ما فككنا رموز هذه المنامة مع أنَّها لا تستدعي تفسيرا، لأنَّها واضحة كفلق الصبح، نجد أنَّ السماء في المنام تدل على المنازل الرفيعة، وعلى دور الأكابر، وعلى محل الأمر والنهي والخير والشر[2]، وهي تدل على نفسها، فما نزل منها أو من ناحيتها جاء نظيره من عند الله ليس للخلق فيه تسبب[3]، ورأى أنَّها فُتِحت وخرج منها فرس أبيض، والفرس لمن رآه من بعيد بشارة وخير لقوله صلى الله عليه وسلم "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[4]، فإذا ما أضفنا إليه أنَّه كان أبيض، وهذا اللون نادر جدا، لا يكاد يكون إلا في الخيل الأسطورية، وكان راكبه حسن الوجه والرائحة، أدركنا2 أنَّ إرهاصات الرؤيا قد اجتمعت، وهذا الفارس يحمل راية خضراء قد سدت الأفق من عظمها، والراية في المنام" أمر معلوم مشهور ورياسة"[5]، وسدها للأفق إيذان بعلوها وانتشارها.

---

[1] ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص224–225؛ وابن القاضي: جذوة الإقتباس، ص557.

[2] ابن سيرين: تفسير الأحلام، تقديم: فؤاد بن سراج عبد الغفار، ط9، القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2013، ص214.

[3] القفصي: المرقبة العليا، ص171.

[4] ابن سيرين: منتخب الكلام في تفسير الأحلام، ص266.

[5] ابن سيرين والنابلسي: معجم تفسر، ص436.

بهذا الشكل أسفر المنام عن نتيجة المعركة، وإذا ما ذهبنا إلى تفسيره كخطاب سياسي، نجد أنَّ هذا النوع من المرائي عادة ما يساق قبل المعارك للرفع من عزيمة الجيش، وأنَّ انتصارهم كائن لا محال.

وعند الغوص أكثر في معنى المنام، نجده يحمل في طياته رسالة أخرى، وهي إثبات صلاح المنصور الموحدي وكراماته، فالرموز التي حملها منامه لا يراها إلا رجل صالح ينسب إلى دائرة الأولياء.

وبعد رؤية هذا المنام لم يبق للنهايات إلا أن تطابق البدايات، "فالتقى الجمعان بحصن الأرك، والتحم القتال وانهزم العدو، وأحرز الموحدون أعظم نصر خلال حكمهم الطويل لشبه الجزيرة الأندلسية"[1].

ثالثا– في التعالي بالسياسي:

شرعت الأسطورة في نهاية القرن السادس الهجري، وبداية القرن السابع في ابتداع موضوع جديد، وهو بركات الشرفاء وكراماتهم[2].

نبتدئ مع المهدي بن تومرت الذي بدخوله إلى بلاد المغرب، أعلن مهديته وعصمته وإمامته، وكانت أساطيره تنشر للناس لضمان تأييدهم له، ويظهر أن هذه الدعاية قد نجحت في تصوير ابن تومرت في صورة الإمام الولي، صاحب الكرامات القادر على الإنباء بالغيب.

يذكر بعض المؤرخين أنه رأى في منامه قبيل وفاته بيسير، كأن رجلا وقف ببابه وأنشده:

---

[1] محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس –عصر المرابطين والموحدين–، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990، ج3، ص210.

[2] جعفر بن الحاج السلمي: الأسطورة والمغرب الأقصى، ص159.

وكأنني بهذا البيت قد أباد أهله وقد رس أعلامه ومنازله

فأجابه المهدي:

كذلك أمور الناس يبلا جديدها وكل مناحقا ستبلى خصائله

فأجابه الهاتف:

تزود من الدنيا فانك راحل وانك مسؤول، فما أنت قائله؟

فأجاب المهدي:

أقول بأن الله حق شهدته وذلك قول ليس تخفى فضائله

فأجاب الهاتف:

فخذ عُدّة الموت انك ميت وقد أزف الأمر الذي أنت نازله

فأجاب المهدي:

متى ذاك أخبرني، هديت فإنني سأفعل ما قد قلت لي وأعاجبه

فأجاب الهاتف:

تبيت ثلاثا بعد عشرين ليلة إلى منتهى شهر فما أنت كامله[1].

لقد صورت الأسطورة موت المهدي بن تومرت على طريقتها، فجعلت الهاتف يكلمه في المنام، ويخبره بوقت وفاته، فالزيادات الأسطورية أحاطت بسيرة ابن تومرت وحاولت أن تخرج بدعوته من حيز العمل المنظم، الذي يرتهن بشروطه الدنيوية، إلى حيز الظواهر الخارقة للعادة والمليئة بالكرامات[2].

[1] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص42–43؛ وابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص180.

[2] محمد زنبير: "الخلفية الاجتماعية والثقافية لحركة المهدي بن تومرت"، ص134.

فبعد أن ضرب المهدي للناس على ما سوف يكون بعده[1]، احتجب عنهم فلم يره أحد من العامة بعدئذ، ويسمي البيذق هذا الاحتجاب " غيبة "، ويذكر أَمَرَ الموحدين أن يجتمعوا فحضروا كلهم، ثم وعظ الناس حتى أضحى النهار، ثم دخل ببغلته الدار راكبا، وبقي ساعة ثم خرج يرفع الكرزية عن رأسه، ثم قال اعرفوني وحقّقوني، أنا مسافر عنكم سفرا بعيدا، فضج الناس بالبكاء، وقالوا له: إن كنت تسير إلى الشرق نسير معك فقال: ليس هذا سفر لا يسافره معي أحد، إنما لي وحدي، ولم يره أحد أبدا، ولما مات ظل خبر موته مكتوما سنتين خوف الفتنة وذهاب الأمر[2].

وبهذا الشكل جاء هذا المنام ليثبت كرامات المهدي وفضائله، وفي نفس السياق نجد ما يذكره ابن الأثير (ت 630هـ/1232م)، عن البشير الونشريسي (ت 524هـ/ 1229م)، أنَّه قال: رأيت في منامي، وقد نزل ملكان من السماء وشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علما وحكمة وقرآنا، ثم قال لهم، أنَّ الله أعطاني نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار، وآمركم أن تقتلوا أهل النار وتتركوا أل الجنة، وقد أنزل الله تعالى إلى البئر ملائكة يشهدون بصدقي[3].

في العادة ما ينبغي فعله بعد سرد المنام، هو تفكيك رموزها وتعبيرها، لكن هذه المنامة واضحة المعالم وهي معروفة عند المسلمين، فهي نفس ما حدث مع رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم في طفولته فيما يسمى بحادثة شق الصدر "عندما

[1] لمزيد من التفاصيل حول الحادثة، ينظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص300–301.

[2] البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، ص41–42.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص198؛ وابن خلكان: وفيات العيان، ج5، ص52–53.

جاءت الملائكة ونزعت منه خط الشيطان وطهرته"[1]، وجعلته مستعدا لتقبل المعرفة الغيبية.

وهذا ما يجعلنا نفهم أنَّ هذه المنامة التي رآها الونشريسي، ترمز إلى أنَّه سيصبح عالم غيب، ويدرك ما في نفوس البشر من طيب أو خبث، "مع العلم أنَّه كان يظهر البله وعدم المعرفة بشيء من القرآن والعلم، وبُزاقه يجري على صدره وكأنَّه معتوه، ومع هذا فالمهدي يقربه ويكرمه، ويقول أن لله سرا في هذا الرجل سوف يظهر"[2].

وفي سنة 519هـ/1097م بدأت كرامات أبي محمد البشير الونشريسي تظهر، فيذكر ابن القطان: "فأول كراماته أنه حفظ القرآن وتعلم ركوب الخيل ثم استعرض أمامهم، فحفظ فعرضه عليهم في أربعة أيام كل يوم ربع، وأجرى أمامهم حصانا أتقن ركوبه غاية الإتقان، فاستغربوا أمره، وأعجبهم وصدقوا ذلك تصديقا قويا"[3].

إنّ هذه الكرامة المفاجئة للونشريسي، وتحوله من حال إلى حال، فيها مسحة من الخيال والمقصود بها هو إبادة أعداء المهدي، والقضاء عليهم، لأنَّهم أصبحوا يشكلون خطرا، ونظرا لما كان يتمتع به ابن تومرت من ذكاء وعلم وقدرة على التنظيم والتأثير[4]، اهتدى إلى هذه الحيلة، فلم يكن يتردد عند عجز منطق دعوته في اللجوء إلى حيل الشعوذة والتدجيل.

---

[1] الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام– السيرة النبوية–، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، طرابلس: دار الكتاب العربي، 1986، ج2، ص47.

[2] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص199.

[3] ابن القطان: نظم الجمان، ص146–147.

[4] حمد بن صالح السحيباني: "الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت"، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض)، ع06/1992، ص571.

فلم تكن تلك المنامة، وتغير حال الونشريسي سوى اتفاق بينه وبين المهدي، وهذا ما ذهبت إليه الروايات المشرقية، بأن ظهور البشير لا يزيد على أن يكون حيلة دبرها المهدي مع صاحبه[1]، وكل هذه الحيل كانت من أجل القيام بعملية التمييز، لا سيما في سنة 519هـ/1097م ، فقد تراجع عدد كبير من الداخلين في دعوته، وذلك بسبب ما تحمله من لغو وشطط[2]، فجاءت هذه المنامة في سياق إثبات الكرامات الونشريسي، ووصول المهدي إلى غايته والتخلص من كل أعدائه، يذكر ابن القطان: قام الإمام المهدي رضي الله عنه خطيبا فيهم، فقال لهمَ: ﴿ **لِيَمِيزَ اللهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَيبِ**﴾ [سورة الأنفال: 37]، وقال تعالى:﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفْ وَتَنْهَوْنَ عَنْ المُنْكَرِ يُؤْمِنُونَ بالله وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَّ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ المُؤْمِنُونْ وَأَكْثَرُهُمْ الفَاسِقُونْ**﴾ عمران: 110]، وهذا البشير مطالع على الأنفس محدث، والنبي صلى الله عليه وسلم وملائكته الكرام يقول: "إنَّ في أمتي محدثين وإنَّ عمر منهم، وقد صحبنا أقوام أطلعه الله تعالى على ما في نفوسهم من النفاق"[3].

ووصل المهدي إلى مبتغاه، فكانت القبائل تأتيه، فيعرضون عن البشير فيخرج قوم عن يمينه، وقوما عن يساره، فكل من أخرجه عن يمينه يزعم أنه من أهل الجنة، وما خرج عن يساره إلا شك في الأمر وفي الإمام المهدي رضي الله عنه[4].

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص198؛ وابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص52–53.

[2] عبد الله علام: الدعوة الموحدية بالمغرب، ط1، القاهرة: دار المعرفة، 1964، ص191.

[3] ابن القطان: نظم الجمان، ص147.

[4] المصدر السابق، ص147.

وما ساعده في إنجاح مخططه عقلية المغاربة الساذجة، التي استغلها في تمرير مخططاته وإنجاح دعوته[1]، وخاصة الجبليين الذين يفتقرون إلى ثقافة إسلامية أصيلة وعميقة، وهذا ما سمح أن يفشوا فيهم ضرب من الفكر الخيالي[2].

وما نجد كذلك في موضوع إثبات الكرامات والتعالي بالسياسي، ما حدث مع المنصور الموحدي، فينقل لنا ابن السكاك (ت 818هـ/1415م)، عن الشاعر الأندلسي صفوان بن إدريس التيجيبي المرسي (ت 598هـ/1201م)، ولله درُّ الإمام أبي بحر صفوان بن إدريس التيجيبي المرسي خطيب مرسية، فانه اعتنى بمراثي الحسين نفعنا الله ببركاته، ذكروا أنه اضطر إلى تجهيز بنياته، فرحل إلى مراكش على عهد يعقوب المنصور الموحدي وتعذر عليه إيصال قضيته، وهمّ بالرجوع إلى مرسية خائبا، ثم أنَّه سمع البريح عليه، فأدخل على السلطان، فلاطفه وأعطاه ما لم يخطر له على بال، ورأى من العناية ما لم يكن له في حساب، وكان سبب ذلك أن السلطان رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في النوم، وهو يعاتبه ويقول له: صفوان المشغول بخدمتنا والتفجع لولدنا على البعد وطول العهد، ببابك قد غفل عنه، ما هذا حقه ابحث الساعة عنه ويسر له حاجته[3].

إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يتمثل في المنام إلا للصالحين، ورؤية المنصور الموحدي للنبي عليه الصلاة والسلام، دليل على صلاحه وولايته، هذا من جهة، ومن جهة ثانية جاء هذا المنام يصور لنا المنصور الموحدي، على أنَّه رجل

[1] إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصري المرابطين– المجتمع، الذهنيات، الأولياء–، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1993، ص112.

[2] عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت– حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب–، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ص113.

[3] ابن السكاك: نصح الملوك بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، مخطوط مؤسسة علال الفاسي بفاس، رقم:778، ص3.

مهتم بإكرام أهل البيت والاهتمام بهم، فالرجل المذكور في النص من المهتمين بمراثي الحسين عليه السلام، ولهذا السبب أكرمه المنصور الموحدي إكراما لم يكن له في حساب، وبهذا الشكل جاء هذا المنام يحمل رسالة تؤكد صلاح المنصور الموحدي وكراماته، فكما سبق وأن ذكرنا أن الأسطورة في هذه الفترة اهتمت بإثبات كرامات الأولياء وبركاتهم.

ولعل ما يستوقف النظر كذلك في موضوع إثبات كرامات المنصور الموحدي، ما حدث له بعد اضطراره لقتل أخوه وعمه، فيذكر ابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/1312م)، "وذكر أنه لما قتل أخويه وعمه بمدية سلا، رأى بعده أباه وعمه في منامه، وهما عن يمينه، وهما عن يمينه وشماله، فقال له: يا يعقوب ﴿**إِنَّكَ مَيِتٌ وَإِنَهُمْ مَيِتُونْ**﴾[1] توجد رواية أخرى في هذا المنام، الرّواية الثانية أوسع من الأولى، وقد أوردها كذلك ابن عذارى قال: حدثني الشيخ أبو الوفاء عدل، قال: حدثني السيد أبو علي ابن السيد أبي موسى ابن المنصور، قال: خرج سيدنا أمير المؤمنين المنصور ذات يوم إلى رياضه الكبير، وبين يديه جميع أولاده، الكبير منهم والصغير، وهم في خمسة عشر ولدا، فنظر نظرة إليهم، ثم التفت مرارا يكرر عليهم، إلى أن قال لهم، ولمن حضر معهم: رأيت البارحة في منامي سيدنا أمير المؤمنين، وهو في هيأتي، وعلى شبه صورتي هذه التي نحن فيها معكم، وأولاده معه، كما أنتم أولادي معي، وكلمني كيف أكلمكم، فقال لي: يا يعقوب لما قتلت أخاك وعمك؟ فما كنت كررها علي مرارا كأنه يعاتبني، ثم بكى المنصور حتى بلّت دموعه لحيته"[2].

[1] ابن عذارى المراكشي:" البيان المغرب، ج5، ص229.

[2] المصدر السابق، ص229.

إنّ العمل الذي قام به المنصور الموحدي بقتله لأخويه وعمه، دعته إليه السياسة والتدبير، فهو عمل يتعارض مع شخصه، فقد صورته المصادر المغربية على أنَّه كان عاقلًا حازمًا، لا تأخذه في الله لومة لائم، متواضعا لله مجاهدا في سبيله[1]، فكان لا بد للأسطورة من إيراد منام يؤدي إلى توبته وشعوره بالندم، فحملت فحملت هذه الرؤيا توبيخا من والده، فأورثه ذلك الندم على ذنبه، والندم من علامات التوبة، فيذكر ابن عذارى المراكشي: "وذكروا –والله أعلم– أنه من وقت تلك الرؤيا التي رآها المنصور قام بنفسه أن يختلع على الملك، ويبقى يعبد اله حتى يموت، فقدم ابنه الناصر (595–510هـ/1199–1219م)، وأوصى وصاياه، وغاب وأخبر الناس بموته والله أعلم بحقيقة أمره"[2].

والملاحظ أن المنصور الموحدي بعد ذكر كل مناماته، والتي تفيد في تأويلها أَنَّه من الصالحين والزهاد، "كان أكثر من نجح في استثمار صلته بأهل التصوف في التمكين لسلطانه"[3]، فموضوع التعالي بالسياسي، واثبات الكرامات إذا ما فسر كخطاب من نفوذ في دعم سلطتهم[4].

رابعا– في حِدْثان[5] الدول:

دولة المرابطين كما هو حال كل دولة كان لها مرحلة التأسيس، ثم مرحلة قوة وتمكين، ثم مرحلة ضعف وسقوط، وسقوط دولة عظيمة كدولة المرابطين، لا بد لها

---

[1] المصدر السابق، ص233.

[2] المصدر السابق، ص229.

[3] لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص425.

[4] المرجع السابق، ص416.

[5] الحدثان هو أخبار المستقبل ووقائعه، وحدثان الدول في اصطلاح العصر الوسيط، ما سبق من أحاديث تنبئ عن الكوائن المستقبلية المتصلة بابتداء دولة ما وانفراط عقد أخرى، ينظر: ابن خلدون: المقدمة، ص411.

من منام ينذر بها، وشعر ينشد فيها، قال صاحب "الحلل الموشية" (حي 783هـ/ 1381م)، عن أبي عبد الله بن ورد الأندلسي: " ويُذكر أنَّ الأستاذ أبا عبد الله ابن ورد رأى في منامه قبل انقراض المرابطين بيسير قائلا يقول:

ألا أيها المغرور ويحك لا تنم فلله في ذا الخلق أمر قد انبرم
فلابد أن يزروا بأمر يسوؤهم فقد أحدثوا جرما على حاكم الأمم[1]

جاءت هذه الأبيات الشعرية تنذر بنهاية دولة المرابطين، ولقد تعددت الروايات في أسباب سقوط هذه الدولة العظيمة، فأجمعت الروايات الأسطورية الموحدية أنَّ سببها، هو دعاء الغزالي على المرابطين لأجل ما صنعوه بكتابه، يذكر عبد الواحد المراكشي: "وحُكِي أنَّه ذُكِر للغزالي ما فعله أمير المسلمين بكتبه التي وصلت إلى المغرب، من إحراقها وإفسادها، وابن تومرت حاضر ذلك المجلس، فقال الغزالي حين بلغه ذلك: ليذهبن عن قليل ملكه، وليقتلن ولده، وما أحسب لذلك إلا حاضرا مجلسنا"[2].

وفي رواية أخرى بعد سماع الغزالي بحرق كتبه مد يديه للدعاء، والطلبة يؤمنون، فقال في دعائه اللهم مزق ملكهم كما مزقوه، واذهب دولتهم كما حرقوه، فقام رجل من الحلقة، كان يقال له في ذلك الوقت أبو عبد الله السوسي، فقال أدع الله أيها الإمام، أن يجعل ذلك على يدي، فتغافل عنه أبو حامد، رحمه الله تعالى، فلما كان بعد جمعة أو نحوها إذ بشيخ آخر على هيئة الأول، فسأله الشيخ أبو حامد، فأخبره بصحة الخبر المتقدم، فدعا بمثل دعائه الأول، فقال له المهدي: على يدي إن

[1] مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص140.

[2] عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص263.

شاء الله، فقال: اللهم اجعله على يده، فقبل الله دعائه: فخرج أبو عبد الله ابن تومرت من بغداد، وقد علم أنَّ دعوة الله لا ترد[1].

فاستغل ابن تومرت حادثة الإحراق استغلالا أسطوريا، فقد رسخ في أذهان العامة أنَّ دولة المرابطين سقطت كعقاب إلهي على الذنب الذي اقترفه المرابطون في حق فقيه معروف كالغزالي[2]، فصار هذا السبب المتعارف عليه، خاصة وأنَّ أغلب الكتب التي أُلِفَت بعد سقوط المرابطين كانت تعمل لصالح الموحدين، فأصبح كثير من الباحثين يعتمدون عليها كمصادر[3].

وبهذا الشكل كانت أسطورة نهاية دولة المرابطين، والمنام الذي أنذر بسقوطها فاتحة لبداية دولة أخرى هي دولة الموحدين، فلكل بداية نهاية، وعند كل نهاية بداية، فمن غير الممكن أن تمر حادثة كهذه في تاريخ المغرب ولا يساق فيها منام، ونفس الأمر حدث عند انهيار دولة الموحدين، فيحكى أنَّ رجلا من الصالحين ببجاية أَنشِد في منامه هذين البيتان، فَؤُرِخ ذلك اليوم، فَوُجِد مقتل أبي دبوس، وهما:

---

[1] ابن القطان: نظم الجمان، ص72–73؛ وابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ج4، ص59–60؛ ومؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص104–105؛ والزركشي: تاريخ الدولتين، ص4؛ وقال ابن أبي دينار أنَّ ابن تومرت لازم الغزالي ثلاث سنوات، ينظر: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ص107؛ وابن كثير يؤكد تتلمذ الغزالي في المدرسة النظامية ببغداد، بل وتحدث عن إنكار ابن تومرت على الغزالي "لبس خلع التدريس بالنظامية"، ينظر:البداية والنهاية، ط1، بيروت: مكتبة المعارف، 1996، ج12، ص186.

وهناك مصادر أخرى ترفض اللقاء بين الرجلين بناءًا على وجود الإمام المهدي فيما بين 493–505هـ، وهي سنة وفاته بخرسان، التي لم يثبت أنَّ الغزالي دخلها، ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص513.

[2] الحسين بولقطيب: "ابن تومرت وتجديد الفكر الإسلامي"، ص68.

[3] محمد اليعقوبي البدراوي: "إحراق كتاب الإحياء في الغرب الإسلامي"، مجلة المناهل (الرباط)، ع1977/9، ص321.

ملك بني مؤمن تولى وكان فوق السماك سمكه
فاعتبروا وانظروا وقولوا سبحان من لا يبيد ملكه[1]

كان قتل أبي دبوس، وانقطاع دولة الموحدين من المغرب، وتملك أمير المسلمين يعقوب دولتهم ومملكتهم، في يوم الأحد الثاني من شهر محرم من سنة 668هـ، وانقطعت بدولته الدولة الموحدية المؤمنية، ولم يبق لها أثر ولا رسم، وصارت خبرا يذكر والبقاء لله وحده[2].

فتبين لنا أنَّ هذه المرائي والمنامات سيقت للإنذار بانهيار الدول، والتبشير بقيام أخرى، أي ما يعرف بحدثان النهايات.

بعد استعراض مواضيع المنامات والوصول إلى غاياتها، نخلص إلى أنَّها وظفت كرموز في الخطاب السياسي من أجل تمرر المشاريع السياسية، وبناء الأرضية الخصبة لها، ولعل أول ما يتبادر إلى ذهن المطلع على هذه المنامات هو هل رُئيت حقا؟ لكن قد لا يكون ذلك من الأهمية في منزلة أهمية الغاية التي سيق لأجلها هذا المنام، وما هو المرموز له؟

والمعروف أنَّ تاريخ بلاد المغرب حافل بالأحداث، وخاصة في تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، فقلما جرت حادثة في تاريخ هاتين الدولتين، ولم تسبقه رؤى ومنامات مؤذنة به، وخاصة في موضوع حيازة السلطة وتقلد الحكم، فنجد أنَّه قد سيقت مجموعة من المرائي في هذا، منها ما جاء في وقته، من أجل دعم الأمير

[1] مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص170؛ وينظر ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ص486؛ وابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص118، مع اختلاف طفيف.

[2] ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، ص486؛ وابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص117–118؛ وابن خلدون: العبر، ص353.

وفك الصراع على المنصب، بأن يساق منام يرفع من حظه في الاستيلاء على الحكم، ومنها ما يساق بعد الحادثة لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمه.

وأما في موضوع الانتصار والإنذار بنهاية الصراع، فنجد أن الأسطورة تحسم نتيجة القتال في المنام قبل أن يحسمه العساكر في ساحة المعركة.

وفي الدولة الموحدية ابتدعت الأسطورة موضوعا جديدا، وهو التعالي بالسياسي واثبات كراماته، فنجد على سبيل المثال المهدي بن تومرت الذي وضع على قدم المساواة مع الأولياء والمتصوفة، إذ أضفى على سيرته طابع الولاية والزهد والتقشف والتنبؤ، وكذلك المنصور الموحدي الذي استغل الجانب الصوفي للتمكين لسلطانه ونفوذه وتأسيس مشروعيته السياسية.

أما موضوع حدثان النهايات، فهو من المواضيع المهمة في تاريخ بلاد المغرب، فالمعروف أنَّه قد توالى على حكمه العديد من الدول، فتساق منامات تنبئ بانفراط دولة وقيام أخرى.

وبهذا الشكل استغلت الرؤى والمنامات كخطاب في التاريخ السياسي، في تمرير العديد من الرموز والرسائل.

الفصل الثالث:

خطاب الرؤى في التاريخ الوَلائي

-الموضوعات والغايات-

أولا: في الحد من غلواء السلطة.

ثانيا: في التحرر من سطوة المال.

ثالثا: في حفظ مقام الولاية.

رابعا: في موعظة المريدين.

لقد حفلت كتب التراجم والمناقب بسيل من الخطابات غير المباشرة التي تقوم على الرمز[1] والتمويه، فمن المعروف أن الفكر الكرامي يشتغل على دائرة الرمزي، وتعد الرؤى والمنامات واحدة من أهم الحقول الرمزية التي استند إليها الخطاب الصوفي في تمرير الكثير من الرسائل ذات الطابع السياسي أو المضمون الاجتماعي والثقافي، بما يعبر عن جملة من المواقف تصب في المحصلة في خدمة الغرض الصوفي والدفاع على مشروعيته وأحقيته باعتباره كيانا خاصا.

أولا– في الحد من غلواء السلطة:

تعد ظاهرة الأولياء والمتصوفة من الظواهر البارزة التي طبعت الحياة الاجتماعية في المغرب والأندلس، وقد ارتبط انتشارها بالمرحلة الأخيرة من العصر المرابطي بحيث تجذرت الأزمة في شتى شرايين الحياة العامة مما جعلها تبرز كشكل من أشكال المعارضة التي ناهضت المؤسسة الحاكمة[2]، لكن التيار الصوفي لم تتوفر له الحرية الكاملة للتعبير عن مواقفه كما لم يملك من القوة ما يُمكنه من تغيير الأوضاع[3]، فاستند إلى الرموز للتعبير عن رؤيته وإصلاح المجتمع وإعادة بنائه، وبما أن الصوفية أسرفوا في إعطاء الحلم طابعا وأساسا دينيا، فإنهم لم يتهاونوا في

[1] أسلوب من أساليب التعبير شاع في الكتابات الصوفية، ألجأتهم إليه الحاجة، فهم يتكلمون أو يكتبون عن مشاهد لا عهد للغة بها، فمن الطبيعي أن يلجأوا إلى هذا الأسلوب الذي يعينهم بعض الشيء على نقل أفكارهم وتصوير إحساساتهم؛ ينظر: أسماء خوالدية: الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة والإغراب قصدا، ط1، الرباط: دار الأمان، 2014، ص23.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص125.

[3] المرجع السابق، ص140.

جعله خطابا محملا بالدلالات الرمزية التي تدور حول موضوع كرامات الأولياء وصلاحهم، فالصوفية يسعون على المستوى السياسي إلى تقعيد السلطة الشرعية وتقديم البديل من خلال تجربة الولي الصالح كنموذج إصلاحي لتجاوز الأزمة.

ولرصد المأثور المنامي نلجأ إلى كتب التراجم والمناقب وخاصة منها كتاب التشوف الذي يحمل طابعا سياسيا واضحا من خلال رصد العلاقة بين السلطة والسياسي[1]، فالتشوف ليس مجرد خطاب وعظي يبدأ بكرامة وينتهي عندها[2] بل يحمل بين طياته مشروعا سياسيا واضح المعالم.

يذكر التادلي (ت 628هـ/1230م) أن أحد جيران أبي عبد الله الدقاق[3] كان يسمع بكراماته وفضائله فيزدريه ولايراه هناك، فنام ليلة فرأى في نومه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: أرني وليا من أولياء الله، فدفع إليه مفتاحا وقال له أدخل هاهنا فكل بيت تفتحه تجد وليا من أولياء الله، فدخل في دار كثيرة البيوت، ففتح أول باب فوجد فيه أبا عبد الله الدقاق، ثم فتح ثاني فوجده فيه ثم فتح ثالثا فوجده فيه، فلما أصبح ذهب إلي أبي عبد الله الدقاق ليعلمه فابتدره أبو عبد الله الدقاق قبل أن يكلمه، وقال له: لو فتحت الأبواب كلها لوجدتني في كل بيت تفتحه[4].

---

[1] رشيد اليملولي: "التصوف في التاريخ المغربي الوسيط –بعض ملامح المشروع السياسي–"، مجلة كان التاريخية، إلكترونية، ع2015/29، ص104.

[2] محمد القبلي: "حول مضمرات التشوف"، ضمن أعمال ملتقى"التاريخ وأدب المناقب"، المنعقد بالرباط: بتاريخ: 08-1988/04/09، الرباط: منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1989، ص80.

[3] من أكابر الصوفية، وهو من أهل سجلماسة، وكان يقول أنا أول من أخذ عنه الشيخ أبو مدين التصوف، وكان الدقاق إماما في ذلك. ترجم له: التميمي في المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، ط1، تطوان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2002، ص118؛ والتادلي في التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط2، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1997، ص156.

[4] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص156-157؛ والتميمي: المستفاد في مناقب العباد، ص188.

الواضح من هذا المنام أنه سيق لإثبات كرامات الولي أبي عبد الله الدقاق، وأنه من أولياء الله الصالحين، ولفهم المنامة أكثر يجب ربطها بالظروف الزماكانية والتاريخية والسيسيولجية التي أحاطت بصاحبها، ظروف جعلته يرمز الواقع في مخيال ويجعله الوساطة بين الواقع والخيال بين المكنون والمفصوح[1]، فإذا ما رجعنا إلى الظروف التاريخية المحيطة بأبي عبد الله الدقاق نجد أن الوضع كان متأزما خاصة وأن"المرابطين صاروا أكثر صرامة اتجاه الصوفية المرموقين ومنهم الدقاق بعد ثورة المريدين[2] بالأندلس"[3] وإضافة إلى ذلك نجد رجحان الكفة لصالح الفقهاء[4] في الدولة المرابطية وسيطرتهم على جميع مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية[5]، فيحاول الصوفية من خلال هذه المرائي والمنامات "أن يربطوا حضورهم في أذهان العامة بما يتمتعون به من قدرات خارقة تجعل منهم أندادا للسلطة الحاكمة"[6].

وفي السياق نفسه يورد التادلي منامًا آخر يفيد تأويله إثبات كرامات أبي عبد الله الدقاق، فيذكر حدثني أحد الصوفية: وعدت جماعة من الصوفية أن يبيتوا عندي

---

[1] حريرة المداني: "الرمزية الصوفية في الأزمات الاجتماعية–الكرامات وتمثلاتها في المغرب والأوسط (ق10–14ه)–"، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، جامعة السانيا بوهران، 2010، ص210.

[2] حول أسباب هذه الثورة وخلفياتها؛ ينظر: إبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص163 وما بعدها.

[3] محمد مفتاح: الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي –مقاربات وظيفية–، القاهرة: دار رؤية، 2013، ص104. [4] ومايؤكد ذلك ما ذكره ابن عذارى المراكشي حول يوسف بن تاشفين "كان يفضل الفقهاء ويعظم العلماء ويصرف إليهم ويأخذ فيها برأيهم ويقضي على نفسه بفتياهم"؛ ينظر: البيان المغرب، ج4، ص46.

[5] الطاهر بونابي: عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط–دراسة في الحركة الصوفية خلال العصر الوسيط (الماهية–المجال–الجذور–المدارس–الأدوار)، من القرن 2ه/8م إلى القرن 7ه/13م، المسيلة: منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2017، ج1، ص118.

[6] لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص419.

وفيهم أبي عبد الله الدقاق، فنمت في النهار، فرأيت في منامي الشمس قد نزلت من السماء إلى موضع من بيتي، فلما كان اليوم التي وعدتهم أن يبيتوا عندي رأيت كل من يدخل البيت يميل عن الموضع الذي رأيت فيه الشمس إلى أن دخل أبو عبد الله الدقاق، فقعد فيه، فلما رآني أطيل النظر فيه قال لي: أنا شمس هذا الوقت[1].

سوف نحاول في مرحلة أولى أن نفكك رموز هذه الرؤيا التي تتعدى أن تكون مجرد رواية للتعريف بالولي والاقتداء به إلى كشفها لواقع اجتماعي وسياسي متأزم تدعو من خلال مضمونها إلى معالجته وتقديم البديل من خلال تجربة الولي الصالح وحياته كنموذج إصلاحي لتجاوزها، فالشمس في تعبيرها تفيد الملك الأعظم لأنها أنور ما في السماء من نظرائها مع كثرة نفعها[2]، وتشير في مدلولها إلى النور الذي يعاكسه الظلام، "والظلام في تأويله يرمز إلى الأزمة"[3]، فانطلاقا من هذا التعبير نجد أن الدلالات الرمزية التي حملتها هذه المنامة إذا ما فسرت كخطاب صوفي فإنها تفصح على أن النور الوحيد الذي بإمكانه تبديد الظلام هم الأولياء الصوفية، وبالتالي فصاحب كتاب التشوف يطرح هنا قوى الصلحاء والأولياء ككتلة سياسية بديلة لمرحلة اليأس والظلام فهم القيادة المؤهلة للخروج من الأزمة.[4]

وما يؤكد كذلك على تقهقر الأوضاع في بلاد المغرب هو ما أحدثه كتاب الإحياء من ضجة في البلاط المرابطي، فقد اصطدم بواقع متقهقر سياسيا وإداريا ويعاني من الانحلال الأخلاقي و التمايز الطبقي واضمحلال اقتصادي شهدته الدولة

---

[1] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص157.

[2] ابن سيرين تفسير الأحلام، ص225؛ وابن راشد القفصي: المرقبة العليا، ص174.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش: "واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات"؛ ضمن كتابه: تاريخ الغرب الإسلامي –قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة–، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1994، ص111.

[4] المرجع السابق، ص111.

في السنوات الأخيرة من حكمها[1]، فنصوص كتاب الإحياء دليل على أنَّه أتى بالنقد اللاذع لأوضاع إسلامية شتى ولم يختص بوضعية معينة، إلا أنَّه وجد في أوضاع الدولة المرابطية مناخاً انطبقت نصوصه على واقع الأمة، فاعتنقه الصوفية خطابًا سياسيا لتعرية الواقع[2]، وهذا ما دفع بفقهاء الدولة إلى الإفتاء بحرقه[3]، فعمدوا إلى تشويه نصوصه واعتبروه مخالفا للسنة، وهذا ما أثار حفيظة أولياء الصوفية، فعمدوا إلى التعبير عن رفضهم لهذا الأمر إلى خطاب الرؤى، فيذكر التادلي عن أبي الحسن علي بن حرزهم[4] (ت 559هـ/1163م) أنه كان يقول: اعتكفت على قراءة الإحياء في البيت لمدة عام، فجردت المسائل التي تنتقد عليه، وعزمت على حرق الكتاب، فلما نمت رأيت قائلا يقول: جردوه واضربوه حد الفرية، فضربت ثمانين سوطًا، فلما استيقظت جعلت أقلب ظهري، فوجدت به ألمًا شديد من ذلك الضرب، فتبت إلى الله تعالى مما اعتقدت، ثم بعد ذلك تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة.[5]

عند إخضاع هذه الرؤيا إلى التأويل الذي يعطيها تفسيرًا حسب ما يتلاءم مع المنظومة التأويلية الصوفية نجد أنها حملت بين طياتها خطابًا مرموزًا موجهًا إلى السلطة مفاده أن حرقهم لكتاب الإحياء سينجر وراءه عقاب من الله عز وجل،

---

[1] محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، ط1، الدار البيضاء: دار توبقال، 1987، ص38–40.

[2] الطاهر بونابي: عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط، ج1، ص309.

[3] استهجن فقهاء دولة المرابطين في الأندلس وعلى رأسهم قاضي قرطبة أبو عبد الله بن محمد بن الأحياء وذهبوا إلى حد تكفير قراءه وخُوِّف الأمير علي بن يوسف بن تاشفين من مخاطره على دولته، فأصدر فتوى بحرقه؛ ينظر: السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2، ص75.

[4] من أهل مدينة فاس، وبها توفي عام (559هـ/1163م)، كان فقيهًا زاهدًا في الدنيا سالكًا في التصوف. ترجم له: التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص168–169؛ وابن قنفذ في أنس الفقير وحز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965، ص27.

[5] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص168–169.

فالصيغة الواردة فالمنام بأن ابن حرزهم بعدما عزم على حرق الكتاب رأى قائلًا يقول"جردوه واضربوه"، تدعم هذا التأويل، فما يتجلى لنا أن الصوفية لجئوا إلى الرؤى والأحلام لأن لغتها قد تستبطن أحيانًا التعبير عن بعض المواقف التي لا يمكن التصريح بها تحايلا على واقع سياسي ضاغط.

أما فيما يخص أولياء العصر الموحدي فقد تجاوزوا مجرد الرغبة في الإفصاح عن أزمة الحكم إلى التأسيس لرؤية تهدف إلى بعث مجتمع جديد على يد رجال التصوف ينضوي تحت قيادتهم[1]، فالقارئ لكرامات أبي يعزى يلنور الأيلاني[2] (ت 562هـ/1166م)، وهو من أشهر متصوفة الدولة الموحدية يجد قسمًا منها يتحدث عن العلاقة التي كانت بين السلطة المركزية الموحدي وبين سلطة أبي يعزي، "ولم تكن تلك العلاقة فريدة من نوعها، ولكنها تعكس الصراع بين السلطتين المتنافستين للتحكم في العامة وتوجيهها"[3]، ولعل أبرز ما يثبت ذلك هو توظيف السياسة الحيوانية في كرامات أبي يعزى ومنها الأسد الذي ذهب أحد الباحثين المهتمين بأدب المناقب

[1] لخضر بولطيف: فقهاء المالكية، ص420.

[2] يلنور بن ميمون بن عبد الله، أصله من هزميرة إيروجان، كان قطب عصره وأعجوبة دهره عمر طويلًا زاد عن المائة سنة بنحو الثلاثين سنة، بلغ مقامات اليقين مبلغًا لا يبلغه إلا الأفراد العارفين. ترجم له: التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص213؛ والغبريني في عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: علي نويهض، ط2، بيروت: دار الأفاق، 1979، ص23؛ والشعراني في الطبقات الكبرى، تحقيق: أحمد عبد الرحيم وتوفيق علي وهبة، ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة، 2005، ج1، ص243.

[3] محمد مفتاح: التلقي والتأويل –مقاربة نسقية–، ط1، بيروت–الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1994، ص175.

إلى أن الأسد يرمز إلى الحكم والسلطة[1]، وبالتالي يكوم القصد منه "إبراز قدرة المتصوف على ردع تجاوزات السلطة ونشر حمايته على اللائذين به"[2].

ولم تكتف كتب المناقب بالإشادة بكرامات أبي يعزى في حياته فقط بل أشارت إلى أنَّ كراماته وبركاته تواصلت حتى بعد وفاته، فيروي الصومعي (ت 1013هـ/ 1604م) عن أبي يعقوب الزيات (ت 617هـ/1220م) قوله إنَّه لما كان اليوم الذي عزمت فيه على الخروج على تعليم الأطفال والصبيان أصابني كسل في بدني وأخذني النوم، فطرحت نفسي، فلما جاز علي بعض النوم، وإذ بأسودين وأنا كأنني في موضع مرتفع، وأرادا أن يرمياني منه وأنا كالجنازة المطروحة لا أستطيع دفعهما وإذ برجل ضخم الجثة أوقفهما، فتكلم وقال: أتدري هذين قلت: لا، قال ذلك الشيخ أبو يعزى، والآخر عبد الله بن مسعود الكوش[3] (ت 960هـ/1552م) ثم قال: أعرفتني أنا، فقلت: لا، فقال: أنا عبد الله الغزواني[4] (ت 935هـ/1528م) ثم قال: أتدري الموضع الذي أراد أن يرموك منه، فقلت: لا، فقال: التعليم للطلبة والصبيان،

[1] محمد مفتاح: "السياسة الحيوانية –قراءة في كرامات أبي يعزى–"؛ ضمن أمال الدائرة المستديرة "التاريخ واللسانيات –النص ومستويات التأويل–"، المنعقد بمراكش بتاريخ 25–26 ماي 1990، تنسيق: عبد الأحد السبتي، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 1992، ص73.

[2] لخضر بولطيف: فقهاء الماكية، ص420.

[3] عبد االه بن مسعود الكوش من أهل مراكش، إمام فاضل وولي صالح، توفي سنة 960هـ/1552م. ترجم له: العباس السملالي في الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ط2، الرباط: المطبعة الملكية، 2002، ج8، ص276–277.

[4] عبد الله بن عجال الغزواني المراكشي الإمام الصوفي الشهير، استقر بفاس وبنى زاويته بداخل باب الفتوح، وأقام بها ثم انتقل إلى مراكش ومكث فيها إلى أن توفي سنة 935هـ/1528م. ترجم له: العباس السملالي في الإعلام، ج8، ص135.

أيُّ شيئ جعلك للخروج اجلس مكانك حتى يكون خروجك بالإذن، فعلمت حينئذ أنّ الشيخ أبا يعزى من أهل التصريف، وأنّ مماته كحياته[1].

ويذكر الصومعي كذلك عن الشيخ أبي عبد الله العطار[2] أنّه بعد توبته قرر زيارة كل من عبد القادر الجيلاني[3] (ت 561هـ/1165) وأبي يعزى يلنور، فنظر فرأى أنّ زيارة عبد القادر الجيلاني غير ممكنة، فعزم على زيارة أبي يعزى، وقال عقدت النية أنّ كل نافلة أعملها فثوابها لهما، فأقمت على قبر الشيخ أبي يعزى أحد وعشرين يومًا أقوم الليل وأصوم النهار ولا أفتر من ذلك، فنمت في آخرها في القائلة وإذا بالقبر انفتح وخرج منه وأتى رجل عليه عمامة، فوقف عليه وقال: أعطه حاجته، فقال: له ما هي لي وحدي، فقال: أعطه فرأيته أعطاني علمًا، فاستيقظت مسرورًا بما رأيت في تلك الرؤيا، وعلمت أني أدركتني بركة الشيخين[4].

فيتضح لنا انطلاقا من الدلالات الرمزية التي حملتها هذه المرائي أنها جاءت في سياق إثبات قدرات الولي الصوفي على التصرف في شؤون الخلق وأمورهم وأنّ رجال التصوف هم القادرين على خدمة الفرد والمجتمع وإصلاح شؤونه والخروج من الأزمة، وبهذا الشكل عمد الصوفية إلى السيطرة على العامة بإبراز قدراتهم وكراماتهم، وإظهارهم عدم الاشتغال بشؤون السلطة ومغرياتها بقدر

---

[1] الصومعي: المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق: علي الجاوي، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بأكادير، 1996، ص114.

[2] أبو عبد الله محمد الأمين العطار دفين جبل زرهون لا شيخ له لكنه انتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وأبي يعزى. ترجم له: ابن عيشون في الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق: زهراء النظام، ط1، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1997، ص80.

[3] علي بن أبي طالب الجيلاني نسبة إلى جبل جيل، وهي بلاد متفرقة من طبرستان وهو من جلة مشايخ جيلان، كان شيخ الشيوخ توفي سنة 561هـ/1165م. ترجم له: ابن عماد في شذرات الذهب، تحقيق: محمد شعيب الأرناؤوط، ط1، دمشق–بيروت: دار ابن كثير، 1986، ج8، ص131.

[4] الصومعي: المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص114.

اهتمامهم بإصلاح الأوضاع وخدمة المجتمع، "فبقدر إظهار انسحابه من معمعة الدنيا تتعلق به النفوس"[1].

ثانيا– في التحرر من سطوة المال:

لقد شكلت الرؤى والأحلام خطابًا مؤسسًا لدى الصوفية استندوا إليه في الدعوة إلى التحرر من سطوة المال والدنيا، بحيث جعلوه مشحونًا بالدلالات الرمزية التي تدعو إلى وجوب أخذ أموال الأغنياء والتصدق بها على المستضعفين وعدم امتلاك الفائض وما يزيد عن الحاجة، يذكر التادلي في هذا السياق عن أبي إبراهيم إسحاق الهزرجي[2] (ت 581هـ/1185م) أَنه رأى رب العزة في المنام، فقال له: يا إسحاق أنا آخذ بيد السخي كلما عثر ثلاث مرات، فلما أصبح أبو إبراهيم تصدق بجميع ماله وأعتق مماليكه، وكان يتفقد الصبيان، فيسأل عن الأيتام والفقراء، فيكسوهم ويطعمهم[3].

عند إخضاع هذه المنامة للتأويل نجد أنَّه لم يؤتى بها للتعبير عن تجربة الولي الصوفي وإنَّما حملت بين طياتها خطابًا مرموزًا موجهًا للطبقة الخاصة من الأغنياء تدعوهم فيها إلى التصدق، فهي تعكس حال المجتمع وما يعانيه من انتشار الفقر والعوز والتفاوت الطبقي، وكرد فعل على هذه الأوضاع برز الاتجاه الصوفي يدعوا إلى الصدقة والإحسان كحل قد يخفف من طغيان الثروة وتكدسها في يد أقلية من المجتمع متخذًا الرؤى والأحلام خطابًا لذلك، فما يتضح جليًا لنا أنَّ هذه المنامة تعبر

---

[1] علي أومليل: السلطة الثقافية والسلطة السياسية، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ص18.

[2] من أهل الجانب الشرقي من مراكش وبه توفي ليلة النصف من شعبان عام581هـ/1185م، ودفن خارج باب الدباغين. ترجم له: التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص241؛ والعباس السملالي في الأعلام، ج3، ص59.

[3] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص241.

عن معادلة لتحقيق التوازن الاجتماعي ومساعدة المعوزين والضعفاء لمجابهة واقعهم.

وفي نفس السياق وفي موضوع التحرر من سطوة المال بالدعوة إلى الصدقة والإحسان يذكر التادلي عن الصوفي أبي عبد الله التادلي[1] (ت 580هـ/1184م) أنَّه قصده رجل محتاج وقال له: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: اذهب إلى أبي عبد الله وأمره أن يدفع لك أثوابه، فقال له اتبعني فدخل في داره وتجرد من أثوابه ودفعها له من وراء الباب وبقي عرياناً[2]، والمعروف عن أبي عبد الله التادلي أنَّه كان من أهل الصدقة والإحسان، فكان يعلم الصبيان فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء ويردها إلى الفقراء[3]، فالمرموز له من هذا المنام أنَّ الأولياء الصوفية حاولوا من خلال توظيف رأسمالهم الرمزي توسيع دائرة التكافل بحث الأغنياء على البذل والعطاء[4].

ومن الأدوار الأكثر لصوقًا بالمتصوفة كذلك والتي صارت بالتدريج عادة اجتماعية مسألة التصدق بالطعام، والتي أعطاها المتصوفة أهمية كبرى، فأصبحت أصلًا للسلوك الصوفي عند بعضهم، ولعل أبرز من مثل هذا الجانب أبي يعزى يلنور الأيلاني الذي كان "كل من يأتيه يطعمه من عنده ويعلف دوابه، والفتوح التي كانت

---

[1] من أهل فاس ويقال أنه يدعى بأبي عبد الله الخياط من أصحاب أبي يعزى، مات بفاس عام 580هـ/1184م. ترجم له التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص274.

[2] المصدر السابق: ص274.

[3] المصدر السابق: ص274.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش: "الجوانب الخفية في حركة التصوف وكرامات الأولياء بالمغرب (العصر المرابطي–الموحدي)"؛ ضمن كتابه: الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، القاهرة: سينا للنشر، 1995، ص146.

تأتيه من إخوانه في الله ينفقها على زائريه"[1]، وكانت له فلسفة خاصة في الإنفاق على المُعسرين "بحيث أنّه يبذل تسعة أعشار من زرعه ويكتفي هو بالعشر"[2]، وهو سلوك تربوي كان هدف أبي يعزى منه حمل الأغنياء عل الإنفاق وإشاعة روح التعاون لتحقيق تكافل أفقي تنتفي فيه عوارض التمايز الطبقي[3]، ففي أزمة الفقر والجوع والحاجة والحرمان تأتي الكرامات تجسيدًا للعمل الجماعي في إبراء العلل وتوفير الطعام[4]، فمهما يكن من أمر فإنَّ الكرامات والخوارق كانت انعكاسًا على أرض الواقع ونموذجًا للأزمات المعاشة،" فهي إفرازٌ لظروف صعبة سقطت بضلالها على النواحي الاجتماعية والاقتصادية"[5]، وللتشجيع أكثر على مسألة التصدق بالطعام وغيره، وواصلت كتب المناقب خطابها المرموز بخصوص كرامات أبي يعزى حتى بعد وفاته فيُذكر أنّه رئي في المنام وهو يطير، فقيل له بما نلت هذا؟ فقال بإطعام الطعام[6].

وفي تفسير هذه الرؤيا نجد عند ابن راشد القفصي "أنَّه من رُئي قائمًا بين السماء والأرض وهو يتكلم مشافهة، فإنه ينال خيرًا ونعمة ومالًا"[7]، وبهذا الشكل يكون أبو يعزى قد أرجع سبب ولايته إلى إطعام الطعام، وما يفهم من المنام بعد

---

[1] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص222.؛ والكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخران، ط1، الدار البيضاء:دار الثقافة، 2004، ج2، ص56.

[2] الصومعي: المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص257.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش وآخرون: التصوف السني في تاريخ المغرب –نسق نموذجي للوسطية والاعتدال–، الرباط: منشورات الزمن، 2010، ص235.

[4] محمد حلمي عبد الوهاب: ولاة وأولياء –السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط–، ط1، بيروت: الشبكة العربية، 2009، ص103.

[5] الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر، ص177.

[6] الصومعي: المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، ص134.

[7] ابن راشد القفصي: المرقبة العليا، ص184.

تعبيره أنَّه سيق كخطاب يحث على الصدقة والإحسان وعلى المكانة التي ينالها المتصدق بعد مماته.

وعلى نفس المنوال سار أبو العباس السبتي[1] (ت 601هـ/1204م) الذي كان يَرَى أنّ الصدقة يجب أن تعم جميع الخلائق بمن فيهم اليهود والنصارى، وحتى كان يفسر كثيرًا من آيات القرآن الكريم على ضوء مبدإ الصدقة[2] ويذكر ابن الزيات " حضرت مرة مجلسه فرأيت أن أصل مذهبه يدور على الصدقة، وكان يرد سائر أصول إليه الشرع إليها[3].

يذكر التادلي عن أحد الصوفية أنَّه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت له: يا رسول الله أريد أن أراك كل ليلة في المنام، فقال لي: هذا لا يمكن فإني مطلوب في المشرق والمغرب، فشكوت له حاجتي، فقال لي: البخل أضربك، فقلت: يا رسول الله بين لنا هذا البخل، فقال: إذا حضر لأحدكم خاطر بالعطار ثم أعقبه خاطر آخر بالمنع، فالتردد في الخاطر الأول بخل، فسألته عن أبي العباس السبتي وكنت سيئ الاعتقاد فيه، فتبسم وقال: هو من السباق، فقلت بين لي، فقال: هو ممن يمر على الصراط كالبرق، فأصبحت وخرجت فلقيت أبا العباس فقالي لي: ما سمعت وما رأيت، فقلت له التردد في الخاطر الأول بخل، فصالح

---

[1] أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي، مولده بسبة عام524هـ/1144م، نزل مراكش وبها مات عام 601هـ/ 1204م من أكابر الصوفية ومشائخهم. ترجم له التادلي في أخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق؛ نشره بذيل التشوف، ط2، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1997، ص465؛ وابن صعد التلمساني في النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، مخطوط مكتبة مؤسسة الملك بن عبد العزيز بالدار البيضاء، رقم1910، ص103.

[2] محمد المغراوي: "العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين"، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، الرباط، 2002، ص378.

[3] التادلي: أخبار أبي العباس السبتي، ص453.

وغشي عليه ثم قال كلمة الصفا من المصطفى، وصار متى يذكر هذا الكلام يغشى عليه[1].

لعل أهم ما يستوقف الناظر في مضمون هذا المنام هو قول الرسول صلى الله عليه وسلم للرائي إن التردد في الخاطر الأول بخل، وفي تفسير هذه العبارة ذهب أحد الباحثين إلى القول بأن الصدقة تتجاوز في مفهوم أبي العباس السبتي صورتها الظاهرة إلى اعتبارها طريقًا للمجاهدة والتحكم في الذات، حيث يصبح البذل سجية يمارسها المريد بتلقائية دون أن يلفت إليها بخاطره إطلاقا، ومقابل هذا فإن البخل عنده ليس هو عدم الإنفاق ولكنه التردد في الإنفاق[2].

فما يفهم إذن من هذه الرؤيا أنها خطابٌ يوضح سياسة أبا العباس السبتي في الصدقة، فهي تصير في مفهومه بخلًا عند التردد فيها، ولا ينال المرء جزاءها عند الله، كما بينت ما سيناله أبا العباس السبتي من درجة رفيعة عند الله إزاء صدقاته.

وبهذا الشكل نصل إلى أن الأولياء في فترات التوتر والأزمات اعتمدوا خطابًا مرموزًا صرفوه عبر قنوات المرائي والأحلام لتحقيق العدالة الاجتماعية ونبذ الظلم والاستبداد، وعند ربط هذه المرائي والأحلام بالسياق التاريخي نجد أنها زامنت عهد الانحلال والاضطراب الذي شهدته الدولة الموحدية وانتشار الفتن والمجاعات وتناهي الغلاء[3].

ومن جهة أخرى حاولت كتب المناقب أن تخفف عن الفقراء بالتمنيات والرؤى والأحلام وإبراز عدم جدوى الطعام والترف،فتتحول حينئذ إلى كومة من الحكايات

---

[1] التادلي :التشوف إلى رجال التصوف، ص465.

[2] محمد المغراوي: "العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين"، ص378.

[3] عز الدين عمرو موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي–تنظيماتهم ونظمهم–،ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1991، ص287.

التي تمجد الفقر وتقهر النفس[1]، فجماعة الصوفية يفضلون الفقر على الغنى، ويرون أنه من يفضل الفقر يكون على صفة النبي صلى الله عليه وسلم[2].

وفي السياق نفسه يذكر التادلي عن عبد الجليل بن ويحلان[3] (ت 541هـ/ 1144م) أنه دَرّس الناس الفقه ثلاثين سنة محتسبًا مع شدة فقره وفاقته فاكترى دارًا بعشرة دنانير في العام فاجتمعت عليه مائة دينار في عشرة أعوام، فقيل لصاحبها من أين يؤدي لك عبد الجليل مالك عليه من الكراء وليس عنده شيء؟ فبلغه ذلك فأهمه، فرأى في منامه في تلك الليلة رب العزة جل جلاله، فوقف بين يديه، فقال له ما أهمك يا عبد الجليل، فقال: يا رب أنت أعلم، فلما أصبح سمع قرع الباب ففتح فإذا برجل في الظلام، فناوله مائة دينار، وانصرف عنه فأخذها وبعث بها إلى صاحب الدار[4].

ما يتضح لنا بعد سرد هذا المنام أنّ كتب المناقب والكرامات بقدر ما ركزت على فكرة الحث على الصدقة والإحسان والتحرر من سطوة المال، حاولت التخفيف على المساكين والفقراء بإيرادها لهذه المنامات والمرائي، التي تُمجد الفقر وتعتبره

[1] إبراهيم القادري بوتشيش: "واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات (12–13هـ)"؛ ضمن أعمال اليوم الدراسي "الإسطوغرافيا والأزمة –دراسة في الكتابة التاريخية والثقافية–"، المنعقد بالرباط بتاريخ 25 فبراير 1989، الرباط. منشورات كلية الآداب، 1994، ص43.

[2] البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد أعراب، ط2، الرباط: المطبعة الملكية، 1993، ص29.

[3] أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان دكالي الأصل ونزل بأغمات وبها مات 541هـ/1144م كبير الشأن من أهل العلم والعمل، رحل إلى المشرق، فلقي شيخاً من الصوفية ، فأخذ عنه هذا الشأن. ترجم له التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص146–147، والعباس السملالي في الأعلام، ج8، ص29.

[4] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص146.

الخطوة الأولى للولوج إلى باب التصوف، فصار الفقر شرطًا أساسيًا وعلامة إخلاص على التجرد من الدنيا وزينتها[1].

وفي السياق نفسه حاولت إبراز عدم جدوى الطعام والترف، فيذكر التميمي (ت 604هـ/1208م) أنّ رجلًا عسر عليه في عام مجاعة أن يظفر بقرص شعير، فينام في الليل ويرى في المنام أنه أوتي بقصعة ثريد فيأكل حتى يشبع وفي الصباح يجد نفسه شبعانًا[2].

ولعل أهم ما نصل إليه بعد عرض مواضيع المنامات وفك رموزها أنها كشفت عن الواقع المتقهقر الذي شهدته الدولة الموحدية من تمايز طبقي ومجاعات وكوارث وغلاء...، وخاصة بعد معركة العقاب سنة (609هـ/1212م) حيث أن الدولة لم تعرف الاستقرار الذي شهدته من قبل[3]، وفي ظل هذه الظروف برز الخطاب المنقبي الكرامي مستخدمًا الرؤى والأحلام محاولًا تحقيق التوازن الاجتماعي ومساعدة المعوزين والضعفاء.

ثالثا– في حفظ مقام الولاية:

إذا ما ذهبنا إلى مسألة الولاية عند الصوفية نجدها من أكثر القضايا أهمية بحيث يلجأ الصوفي إلى كل الطرق لإثبات ولايته، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل ذهبوا إلى أنّ ولاية الصوفي لا تنقطع بموته بل يبقى مقامه محفوظًا وينال الدرجات العليا، ويكون في مقام الأنبياء والرسل، ولجأوا في إثبات هذا الأمر إلى المرائي والأحلام،

[1] الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7هـ/12 و13م –نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي–، عين مليلة: دار الهدى، 2004، ص97.

[2] التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ص49–50.

[3] محمد زنبير: "أزمة الحكم الموحدي في النصف الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي)"؛ ضمن أعمال اليوم الدراسي" الإسطوغرافيا والأزمة"، ص9.

باعتبارها واحدة من أهم طرق المعرف الغيبية والمكاشفة، فيتم عن طريقها كشف أحوال الموتى ومعرفة أحوالهم ومقاماتهم.

يذكر التادلي عن أبي الحسن علي ابن عبد الرحمان الهواري[1]: حدثني أحدهم قائلًا إني رأيت في المنام أبا الحسن بعد موته وعليه ثياب حسنة كما عهدته في الدنيا إلا أني رأيته في صورة شاب، فلففت رداءه بيدي وقلت له أريد أن أسألك عن حالك، فقال لي: عني فإني مشغول، فقلت في نفسي لعله مشغول بحساب ما خوّله الله في الدنيا، فقلت بما أنت مشغول؟ فقال أو ما سمعت قول الله تعالى:﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةِ اليَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونْ﴾ فنفض يدي من رداءه وذهب ولم أدري من أين[2].

المعروف عن هذا الولي الصوفي أنَّه من أهل الخير والصلاح في حياته، فسيق هذا المنام لإثبات حسن حاله بعد موته وأن مقامه محفوظ، وبالتالي فالخطاب المدرج في المنام يسعى إلى رسم المتصوفة في المخيال الجمعي لأهل المغرب على أنهم من الصلاح والخير وهم القادرين على الخروج بالمجتمع من الأزمة، وما نلاحظه أن الخطاب الصوفي قد وصل إلى غايته، فنجد الناس في وقت الضيق والعسر يلجئون إلى قبور الأولياء لأخذ شيء من تراب قبورهم، أو من أجل التمسح بها، أو من أجل الدعاء ضنًا منهم أن الولي قادر على فك الضيق والإتيان بالفرج.

لهذا فلا مراء من أن الأوضاع التي كان يعيشها مجتمع المغرب الإسلامي والأزمات والنكبات التي كانت تمر عليه، إضافة إلى ذهنيات المجتمع والمستوى الثقافي والمعيشي له، كل هذه الأوضاع الصاخبة المتعددة الألوان جعلت منهم –

[1] أبو الحسن علي ابن عبد الرحمان الهواري من أهل أغمات وريكة، كان عبدًا صالحًا كثير البكاء من خشية الله عز وجل، وكان ذا مال، فكان يصرفه في سبيل الله. ترجم له التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص193.

[2] المصدر السابق، ص194.

الناس– يتطلعون إلى كل ما هو خارق للعادة، وفوق الواقع والذي يغير واقعهم المعاش[1]، وتحقيق مصير مغاير لمصيرهم من خلال الولي صاحب الكرامات والخوارق والذي يُفلت من قيود الواقع والزمان والمكان[2].

وفي نفس السياق يروي ابن قنفذ قول بعض الصالحين: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ومعه أبو مدين شعيب[3] وأبو حامد الغزالي ثم سأل أبا حامد أبا مدين بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال ما روح الروح؟، فقال له أبو مدين: المعرفة، قال: فما روح المعرف؟ قال: اللذة، قال فما روح اللذة؟ قال: نظرة إليه ثم غشيهم نوم عظيم فأخذتهم الملائكة وصعدت بهم حتى غابوا في الهواء، فقلت: هذه درجة علية ومكانة سنية[4].

ويذكر التادلي كذلك رأيت في النوم الشيخ الصالح أبا زكريا يحيى بن أبي بكر الزناتي المعلم[5] (ت 592هـ/1094م) بعد وفاته، فقلت له ما فعل الله بك، فذكر خيرًا، فقلت ما فعل بإخواننا في الله، فقال كلهم في خير، ثم ولى فمشيت في أثره

---

[1] سمية مقورة:" تمثلات الثقافة الفقهية في الغرب الإسلامي"، ص53.

[2] مصطفى حجازي: التخلف الاجتماعي –مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور–، ط9، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005، ص144.

[3] أبو مدين شعيب بن الحسين التلمساني، لسان الطريقة الصوفية ومحييها في المغرب، أحد أكابر عباده في وقته ولد بقرية قطناينة قرب اشبيلية، ثم انتقل إلى فاس لطلب العلم من شيوخه: أبي يعزى، عرف بشيخ المشايخ، لما كان له من التقدم على متصوفة عصره، توفي بتلمسان ودفن بها.ترجم له: أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، 1989، ص193؛ والغبريني في عنوان الدراية،ص220.

[4] ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير،ص16.

[5] من أهل مراكش، كان من أهل الزهو والكبر والركون إلى الدنيا ونعيمها، ثم نزعت به إلى الله همة عالية، فزهد في الدنيا ومتاعها، ورأي بعد توبته محلوق الرأس حافي القدمين على جسده كساء صوف بال. ترجم له: التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص299؛ والعباس السملالي في الإعلام، ج7، ص290.

وسألته عن أبي عمران، فقال لي ما رأيته لكن سألت عنه، فقيل لي: إنه من العليين[1].

ورُئي أبو يعقوب يوسف بن محمد بن أمغار الصنهاجي[2] (ت 614هـ/1116م) وسُئل ما فُعل بك؟، فقال غفر لي وبشرني أنه قد غفر لكل من حضر جنازتي[3].

وذكر التادلي كذلك بخصوص أبي هارون عبد السلام بن ولجوط العزفي[4] (ت 601هـ/1103م) أن رجلًا صالحًا من أهل درعة وصل مراكش فسأل عن قبر أبي هارون، فدُّل عليه، فدعا عنده وانصرف، فقال: نمت فرأيت في منامي أبي بمقابر الدباغين، فرأيت قبرًا صعد منه نورٌ إلى السماء، فقلت من صاحب هذا القبر، فقيل لي: هو قبر أبي هارون[5].

ورئي أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي بعد موته وسئل عن حاله، فقال: أما رأيتم حين كنتم تغسلونني إسرافيل واقفًا في مكان كذا وكذا من الدار، ويقال كذلك أن محمد بن تميم رآه بعد موته وقال له: يا إبراهيم لو رأيت احتفال الناس بجنازتك، فإنه حضرها خلق كثير، فقال لي: لو رأيت احتفالها في الآخرة لرأيت أمرًا عظيمًا، حضرها جبريل و إسرافيل ومد صوته حتى انتبهت من نومي[6].

---

[1] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف،ص300.

[2] من أهل الرباط، من بلد أزمور وبه مات في الثاني من شوال عام 614هـ/1116م، وكان كبير الشأن جليل القدر من بيت خير وصلاح. ترجم له: التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص426.

[3] المصدر السابق، ص426.

[4] من أهل الجانب الشرقي من مراكش، كان رجلًا صالحًا حزينًا دائم البكاء لا يكاد ترقأ له دمعه، وقلما رئي في جماعة من المريدين إلا وأبكاهم. ترجم له: التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص381؛ والعباس السملالي في الإعلام، ج8، ص477.

[5] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص381.

[6] المصدر السابق، ص242.

وغيرها من المنامات كثيرة وكلها تدور في موضوع واحد وهو حفظ مقام الأولياء ومكانتهم بعد مماتهم، وهذه المرائي واضحة المعاني، فلا تحتاج إلى تعبير رموزها، وإذا ما ذهبنا إلى تأويلها نجدها تصب في خدمة المشروع الصوفي باعتباره كياناً خاصًا، وأنَّ أولياءه هم القيادة المؤهلة للحكم، فهي تسعى بالعموم إلى رسم الشخصية الصوفية في مخيال أهل المغرب على أنها المخلّص والمنقذ له، فالكرامات والخوارق وكذلك حفظ مقام الصوفي بعد مماته الذي تنطوي عليهم هذه المنامات تجسد الحل في الخلاص من الأزمات المعاشة على كافة الأصعدة، فهي تصورهم على أنَّهم القادرين على الخروج بالمجتمع من الأزمة.

رابعا– في موعظة المريدين:

لقد تزامن المشروع الإصلاحي للمتصوفة مع ما شهدته دولة المرابطين من أزمة خانقة على الصعيد الأخلاقي بحيث يظهر جليًا في المصادر التاريخية في إطار معالجتها لحركة ابن تومرت في مواجهة المنكرات[1]، أما فيما يخص الدولة الموحدية فقد شهدت فيما بعد معركة العقاب 609هـ/1209م انحلالًا أخلاقيًا ودينيًا، وبما أن الجانب السلوكي قد أخذ حصة الأسد من ذهنية متصوفة المغرب، فقد حاولوا النهوض بالجانب الأخلاقي والدعوة إلى التخلي عن مرذول الصفات[2] عن طريق خطابهم المرموز المحمل في الرؤى والأحلام.

يذكر التادلي عن أبي عبد الله محمد بن موفق[3] أنه كان في ابتداء أمره من أهل الرفاهية والنعيم، فنام ليلة، فقيل له في نومه: اذهب إلى جبل أمسيون ترى الشيوخ،

[1] مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص100.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش: "واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات"، ص26.

[3] محمد بن موفق، أصله من بجاية قدم مراكش وبها مات ودفن خارج باب ينتان. ترجم له: التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص429.

فلما أصبح تجرد من أثوابه ولبس أثوابًا دونها وذهب عشيًا إلى الجبل وقعد بموضع منه، فرأى جموعًا من الناس يمرون عليه ويصعدون إلى أعلى الجبل، فذهب إليهم وحضر سماعهم فاستحسن أحوالهم فزهد من الدنيا وتجرد منها[1].

ما يُفهم من هذا المنام إذا ما فسر كخطاب مرموز هو أنه سيق للدعوة إلى الزهد والصلاح وترك رفاه ونعيم الدنيا، فهذا ما يسعى الصوفية إلى تحقيقه، فقد ركزوا على تعميق صلة الناس بالإسلام عبر التركيز على الممارسة المبسطة التي هدفها ترسيخ قيمه الأساسية والتشديد على أعمال الباطن بدل الانشغال بالرسوم أو الأعمال الظاهرة[2]، وسبيل الوصول إلى الله عندهم يتجلى في العلم بكيفية تطهير القلب من الخبائث والمكدرات، بالكف عن الشهوات والإقتداء بالأنبياء[3]، فرؤية الصوفي في المنام الدعوة إلى الذهاب إلى جبل أمسيون، وهو جبل يجتمع فيه شيوخ الصوفية الزاهدين في الدُنيا للذكر، مع العلم أنه كان من أهل الرفاه والنعيم يبرز المقصود من الرؤيا، فهي خطاباً موجه إلى المتعلقين بالدنيا والمسكونين بحب المال إلى تركها والالتفات إلى عبادة الله والزهد.

وفي السياق نفسه يذكر التادلي ما حدث مع أبي محمد عبد الحليم بن عبد الله المراسني الغماد[4] (ت 590هـ/1193م) في وقت صلاة التراويح في رمضان حيث يقول: كنت أصلي صلاة التراويح في رمضان في ليلة شديدة البرد، فنمت حتى رأيت في منامي رمال سلا، وهي روضات مغروسة يغرسهن أقوام أعرفهم، فرأيت

---

[1] المصدر السابق، ص430.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش: التصوف السني في تاريخ المغرب، ص29.

[3] من أهل سلا، قدم مراكش مرة واحدة ثم عاد إلى بلده وبه مات في عام590هـ/1193م، كان عبدًا صالحًا يطوف على المكاتب ويستوهب الدعاء من الصبيان ويبكي على نفسه. ترجم له: التادلي في التشوف إلى رجال التصوف، ص371؛ والعباس السملالي في الأعلام، ج8، ص36.

[4] التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص371.

روضة قريبة مني قد تركوا غرسها، فقلت لهم: لما لا تغرسون هذه الروضة، فقالوا: أنت أبيت أن تغرس، فقلت لهم: وكيف أبيت أن أغرس؟ فقالوا: هذه الروضات المغروسة لهؤلاء الذين يصلون، فنمت أنت فتعطلت روضتك.

الواضح من هذا المنام هو موعظة الصوفي عبد الحليم المراسني، إلا أنَّه إذا نظرنا إلى هذه الرؤيا بمنظور أعمق باعتبارها واردة في كتاب مناقب، فحينئذ يتغير الوضع فالمضمون الحرفي الذي جاءت به الرؤيا لن يُصبح إلا مؤشرًا عن مضمون أعمق، وعليه فإنه يتعين استعمال الوقائع الحرفية الواردة في الرؤيا لإبراز موازياتها المضمرة ، فنقول انطلاقًا من هذا بما أنّ المبادئ الأخلاقية قد شكلت الأرضية التي انطلق منها رجال التصوف في تأطير المجتمع، فهذه الرؤيا لم تُساق لموعظة عبد الحليم المراسني فقط، وإنما كخطاب مفاده النهوض بالجانب الأخلاقي والسعي إلى العفة والزهد في شهوات النفس والارتقاء بالإنسان من الخطايا والمعاصي إلى الأخلاق الفاضلة.

ولعل من أبرز الشخصيات الصوفية المعروفة في مجال التربية الصوفية وموعظة المريدين والنهوض بالأخلاق، ابن سيدبونة الخزاعي[1] (ت 524هـ/ 1226م)، ولقد أخذ الطريقة بالتربية على يد الشيخ أبي مدين شعيب، هذا الأخير الذي ركز على ثنائية التقوى والزهد حيث يفيض كتابه "أنس الوحيد ونزهة المريد" حسب ما ذكره أحد الباحثين بالحكم المعبرة عن السلوك الأخلاقي والبيداغوجية الصوفية، وكان يمتلك من طرق الإقناع والقدوة النموذجية ما يجعله يخرج ألف

[1] جعفر بن عبد الله بن محمد المكنى بأبي أحمد، ولد سنة 524هـ بقرية زناتة من عمل قسنطاينة في شرق الأندلس، قصد بجاية ليتعلم بها علم الباطن على يد أبي مدين شعيب، صاحب الطريقة البونية، توفي في 624هـ/1197م. ترجم له ابن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، مج1، ص461.

تلميذ[1]، فكان ابن سيدبونة أيضًا يوجه مريديه وأتباعه، إلا أنه اتبع طريقة مُخالفة، فكان يقدم موعظته بشكل منامات ورؤى ذات صيغة مقدسة، ليضفي عليها القوة، وليوصل أنها نوعٌ من الإلهام الرباني، مع العلم أنها مشحونة بالدلالة الرمزية التي تفيد في تأويلها إثبات ولاية ابن سيدبونة، وكذلك محاولة النهوض بالجانب الأخلاقي، وإذا أخذناها كمعطى تاريخي نجدها تعكس الواقع وما يعانيه من انحلال أخلاقي.

يذكر ابن سيدبونة في كتابه الشهاب: كنت نائمًا وسمعت قائلًا يقول يا أبا أحمد أنت والله من ذوي الألباب، فقل لأصحابك يتأدبوا بهذه الآداب وليقيدوا الظاهر بالشريعة والسنة بالكتاب، وليأخذوا أنفسهم بالتشديد وليقرأوا في أورادهم بالترتيل والتقطيع والتشديد، وليقلعوا النفوس بالتقريع وآيات التهديد والوعيد، ولا حرج عليهم في التشوق في سماعهم بما أنشده الحلاج وأبو يزيد مما يدل في الظاهر للسامعين على الواحد المجيد، وإنما تقدمت الإشارة في النهي عن الهزل والتغزل وما يدل على البشرية، فمن تعدى ما أُمِرَ به، فالطرد والزبر والتبعيد، ومن انقطع فهو شيطان مريد، وعليهم الأخذ بالحزم وليتأدبوا، وليتركوا معاشرة الشبان الذميمة والدعابة، وليفهموا الإشارة قبل العيان، وليتعظوا بمن كان قبلهم من أهل القرب والإمكان[2].

ورأى كذلك في المنام قائلًا يخبره: يا أبا أحمد قل لأصحابك أيها الإخوان عليكم بالصيام والأوراد في جوف الليالي والصبر الصدقات، وادخلوا تحت النعال ولا تكونوا وشاة ولا مكذبين وانفصلوا عن أهل التكذيب والإنكار والكذبات، واجتهدوا على مجاهدة النفوس والهوى والشيطان، فإن أمامكم ابتلاء وعقبات،

[1] إبراهيم القادري بوتشيش وآخرون: التصوف السني في بلاد المغرب، ص29.

[2] ابن سيدبونة: الشهاب موعظة لأولي الألباب، تحقيق: عبد الإله بن عرفة، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، ص141–142.

وليعلموا أن تفريقهم الذي نفذ به الأمر إنما كان عقوبة لما نَبَذُوا ما نُهوا عنه من المديح والتغزل والمكفرات، ولا تسمح للنسوة في الاجتماع بعضهن مع بعض ما تعاقب النور والظلمات، ما لم يكن ذوات محارم فعندهن معاشرة ذميمة، فخير مساجد النساء قعر بيوتهن، وفتنتهن شديدة متى رفعن مزاميرهن بالأصوات، ولا يطلع على هذه الوصايا من لا يعلم منه محض القبول والصدق والتصديق في جميع الحالات[1].

وبهذا الشكل صاغ ابن سيدبونة مواعظه في شكل رؤى ومنامات تحمل خطابًا مرموزًا، حاول من خلاله موعظة مريديه والنهوض بالجانب الأخلاقي، مع ما يتوافق وتعاليم الطريقة البونية[2].

ولعل أهم ما نخلص إليه هو أن الصوفي بموعظته وسعيه إلى النهوض بالجانب الأخلاقي ومجابهة الميوعة الأخلاقية حاول أن يكون شريكًا في إنتاج القيم الأخلاقية التي عادة ما تكون تحت احتكار السلطة، فالسلطة هي التي تبني القيم التي يتأطر ضمنها المجتمع، والمنامات التي قمنا بذكرها تعبر على هذا الأساس، فقد سيقت للدعوة إلى الزهد في الحياة وترك ملذات الدنيا وشهواتها، وبالتالي يكون الصوفي من خلال خطاباته يسعى إلى إعادة هيكلة المجتمع مع ما يتوافق والمنظومة الأخلاقية للصوفية، فيكون عنصرًا فعالًا في المجتمع ويخرجه من الأزمة الأخلاقية.

ولعل أهم ما نخلص إليه بعد عرض كل تلك القضايا سواءً في التاريخ السلطاني أو في التاريخ الولائي هو أن الرؤى والأحلام شكلت خطابا مؤسسا عند كل من الأمراء والأولياء استندوا إليه في تمرير العديد من الخطابات المرموزة من

---

[1] المصدر السابق، ص129–130.

[2] مؤسس الطريقة هو الشيخ أبو أحمد جعفر بن سيدبونة في زناتة بشرق الأندلس. ينظر: المصدر السابق، ص58.

أجل الوصول إلى غاية معينة تصب في المحصلة خدمة المشروع السياسي أو الصوفي.

الخاتمـــة

لكل بداية نهاية.. وخير العمل ما حسن آخره، فبعد هذا الجهد المتواضع الذي بذلناه بين تفكر وتعقل في موضوع "خطاب الرؤى"، يكون قد حان الوقت لاستعراض أهم التخريجات.

الجدير بالتنويه هو أن الرؤى والأحلام، قد ظفرت بمقام مرموق في المتخيل الإسلامي، إلا أنه اختلف في بيان كيفيتها وحقيقتها، فظلت في سياق جدل الغيب والشهادة، بين المتعالي القدسي الذي أضفى عليها صورة القداسة، وأولاها منزلة أولى من حيث الإيمان بها، على اعتبار أنها نافذته أو جسرا بينه وبين الغيب، فيكون قد غلا وتطرف في الاعتداد بها، وبين التاريخي الأرضي الذي فصل الرؤيا عن القداسة، واعتبرها مجرد تخيلات باطلة، على اعتبار أن الإدراك لا يتأتى للإنسان في النوم، بل يصاحبه في اليقظة، فيكون قد فرّط وقصّر في الاعتقاد بها، وتنكر للجانب الغيبي الذي تتصل به.

إلا أن القول الوسط في تقديرنا، والذي يحسن الأخذ به، هو أن الرؤيا تقررت معالمها واضحة في القرآن الكريم والسنة النبوية، لهذا فلا ينبغي المغالاة فيها بإفراط، ولا التنكر لها بتفريط.

وبعد معرفة مقام الرؤى في الثقافة الإسلامية، يتجلى لنا واضحا أنها أخذت أبعادا كبيرة في المتخيل الوسيطي المغربي، بحكم أن ذهنية المغاربة كانت مشبعة بالثقافة الدينية، خاصة فيما يتعلق بالأمور الغيبية، وهذا ما يحيلنا إلى القول إنه لم يبق هناك مجال للتساؤل حول أسباب اعتمادها، كخطاب مؤسس عند كلٍ من الأمراء

والأولياء، بحيث استغل كل من الطرفين ما استقر في الفكر المغربي عن مقام الرؤى، وجعلوها خطابا مرموزا للوصول إلى غايات ومقاصد بعينها.

اكتسى خطاب الرؤى في التاريخ السياسي أهمية بالغة، بحيث اُستغل في بلورة المشاريع السياسية، وتهيئة الأرضية الخصبة لها، مع ما يتوافق والسياسة الرسمية للدولة، والجدير بالذكر أنه كان لها دور بارز في توجيه السياق التاريخي للأحداث، وفق ما يتماشى مع المقاصد والغايات المنشودة، فبهذا يمكن القول إن خطاب الرؤى من الجوانب الخفية المتحكمة في سيرورة التاريخ.

وهذا الأمر يكشف إلى أي مدى كان الجانب التصوري العقدي مهيمنا على مجتمع الغرب الإسلامي، بحيث استغل كمنفذ لتمرير رسائل سياسية، وتزكية مشاريع سلطانية.

في الجهة المقابلة اعتمد خطاب الرؤى في السياق الوَلائي، كأداة فاعلة لنقد الواقع، ومحاولة الخروج بالمجتمع من الأزمة، ويمكن تجسيد مقاصده ومراميه في حقلين أساسيين، أولهما حقل الممارسة السياسية؛ فباعتبار التصوف تصورا وثقافة، فإنه لم يخل من الرغبة في تسطير معالم مشروع سياسي ظهرت مؤشراته في العديد من الرموز، مما يعني أن تصرفات الصوفية لم تكن فقط أسيرة الجانب التعبدي، بقدر ما رنت ببصرها نحو نقد السلطة والبحث في اختلالاتها.

كما يتجلى خطاب الرؤى الولائي في حقل الممارسة الاجتماعية، إذ يتضح من خلال المرائي المساقة أن وظيفة التصوف في المجتمع المغربي كانت دينية واجتماعية في الوقت نفسه، فبقدر تشديد الأولياء على أعمال الباطن، وتعميق صلة الناس بدينهم، فقد حافظوا على حضورهم المؤثر في المجتمع، والتصقوا بقضاياه المختلفة، وتوجهوا بالنقد اللاذع إلى كل مظاهر الانحلال الأخلاقي.

ولعل ما ينبغي التأكيد عليه هو أن التصوف قد أصبح ظاهرة نشيطة، وخاصة خلال العصر الموحدي، وأصبحت الأدوار الاجتماعية والسياسية لأهله ملموسة، فمن خلال خطابه المرموز، نجح في استقطاب قاعدة عريضة من الرعية إلى جانبه، حيث فشلت السلطة السياسية، على أنه لا ينبغي تضخيم دوره السياسي، فأقصى طموحه هو ممارسة السلطة من زاوية أخلاقية، دون منازعة الحكم أهله.

وختاما، كانت تلك هي مجمل النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، مؤملة أن تكون هذه الدراسة أرضية ومنطلقا لدراسات أخرى. ولعل من المواضيع التي لفتت انتباهي، وأنا في خضم إنجاز البحث، والتي أحسب أنها بحاجة لأن تخص بدراسة مستقلة:

- ملامح المشروع السياسي للخطاب الصوفي من خلال الرؤى والأحلام.
- دور خطاب الرؤى في تشكيل المجال السياسي.

الملاحـــــق

الملحق: صور من مخطوط نصح ملوك الإسلام

الصورة الأولى[1]

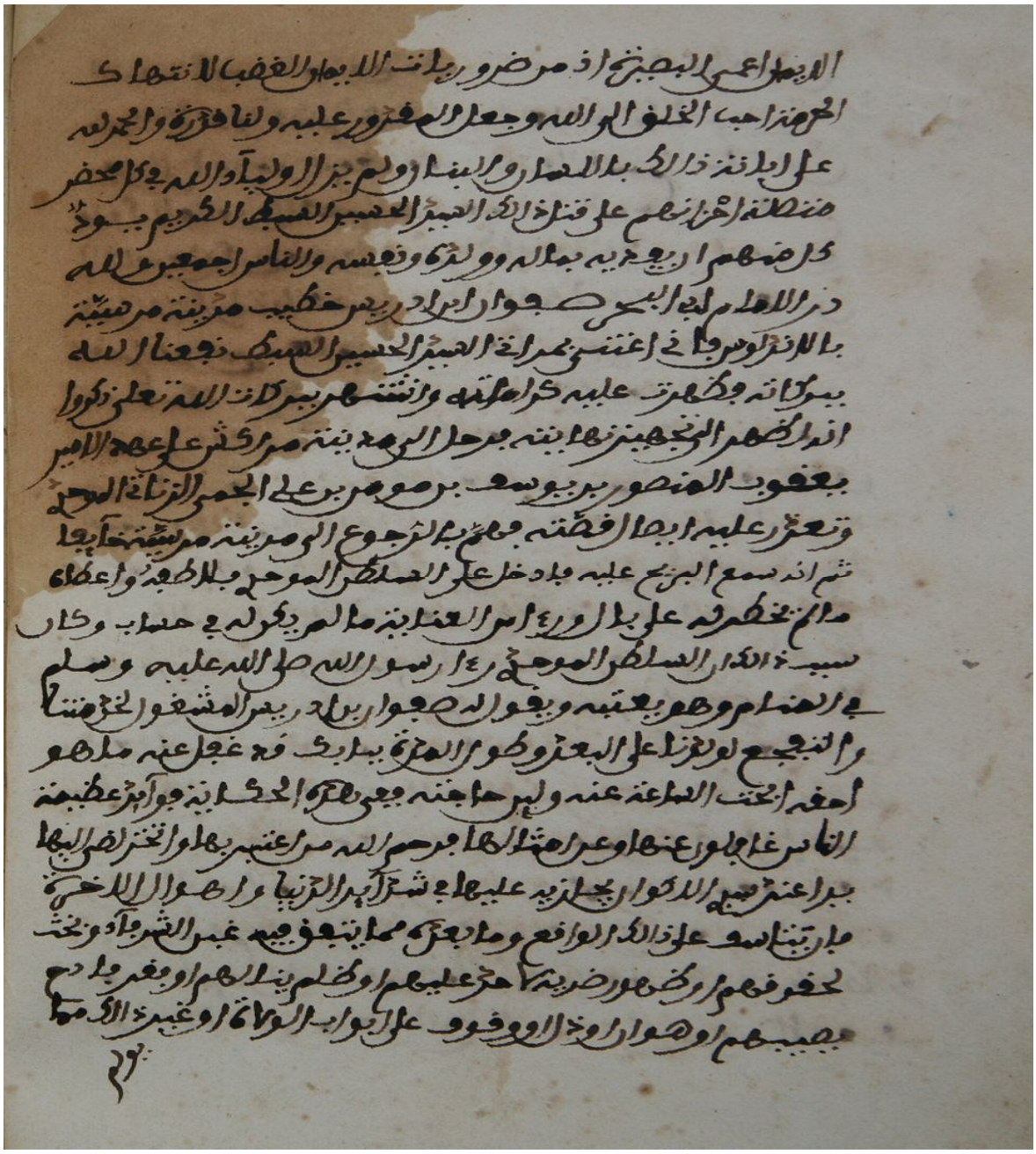

[1] ابن السكاك: نصح ملوك الإسلام، ص3.

الصورة الثانية[2]

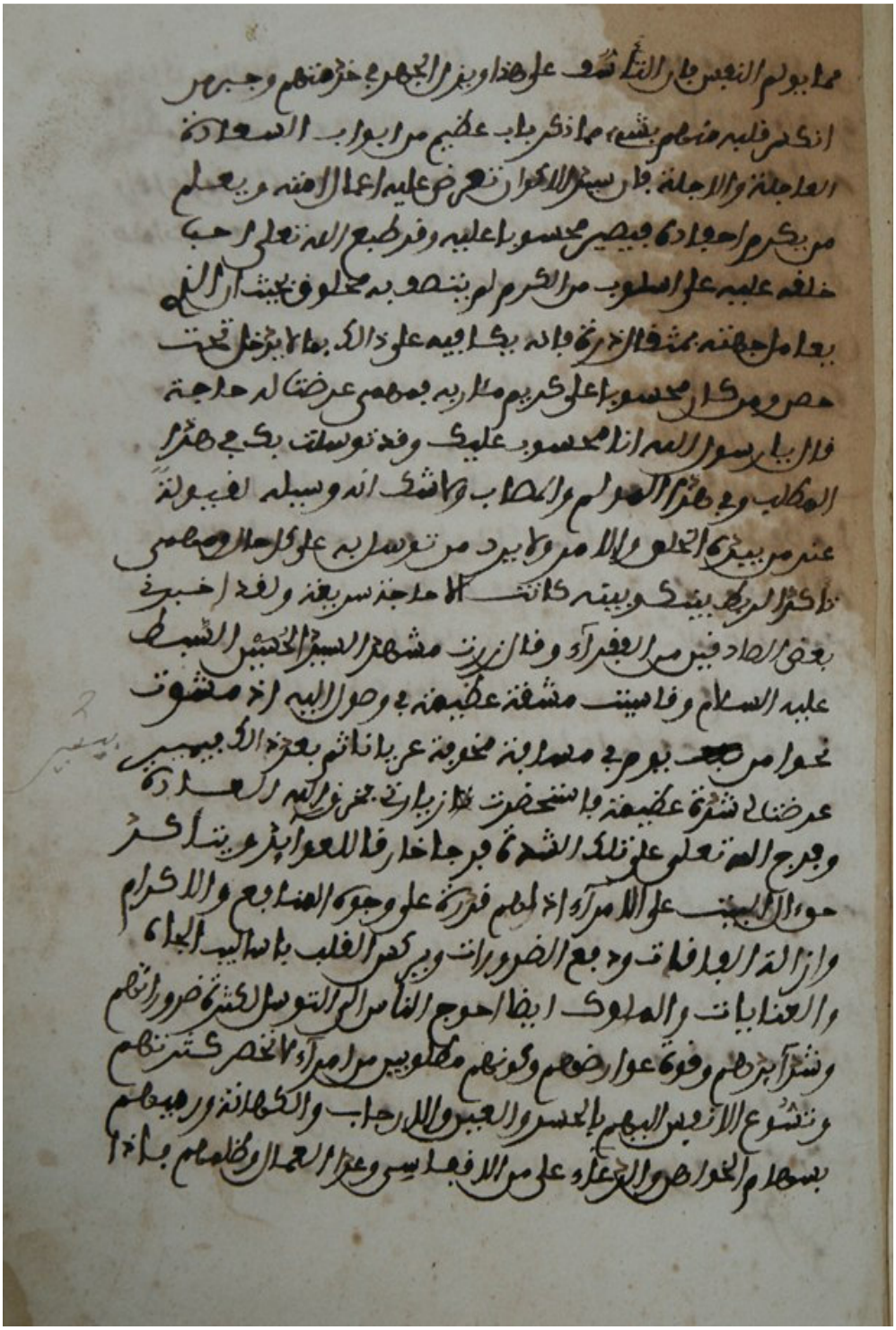

[2] المصدر السابق، ص4.

الورّاقيـــة

- **القرآن الكريم** (رواية ورش عن نافع)

أولا- المحررات باللغة العربية:

I- المصادر:

1- المخطوطة:

-ابن السكّاك، أبو عبد الله محمد أبي غالب بن أحمد (ت 818هـ/1415م): **نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام**، مخطوط مؤسسة علال الفاسي، رقم778.

-ابن صعد التلمساني، محمد بن أبي الفضل (ت 901هـ/1495م): **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب**، مخطوط مؤسسة الملك بن عبد العزيز بالدار البيضاء، رقم 1910.

2- المطبوعة:

-الأُبي، أبو عبد الله محمد بن خلفة الوشتاتي التونسي (ت 827هـ/1424م): **إكمال إكمال المعلم**، بيروت: دار الكتب العلمية، [د.ت]، ج6.

-ابن الأثير، أبو الحسن بن محمد الشيباني الجزري (ت 630هـ/1230م): **الكامل في التاريخ**، تحقيق: محمد يوسف الدقاق، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987، ج9، 10.

-الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل اليماني البصري (ت 324هـ/936م): **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين**، تحقيق: محمد فتحي الدين عبد الحميد، ط1، مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1994.

-الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت 502هـ/1108م): **معجم مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: نديم المرعشلي، بيروت: دار الفكر، [د.ت].

-الإيجي، عضد الدين (ت 756هـ/1355م): **المواقف في علم الكلام**، ط01، مصر: مطبعة السعادة، 1907، ج6.

-البادسي، عبد الحق بن إسماعيل (حي سنة 722هـ/1322م): **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق: سعيد أعراب، ط2، الرباط: المطبعة الملكية، 1993.

-البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت 256هـ/870م): **الجامع الصحيح**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، الرياض: بيت الأفكار الدولية، 1998.

-ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك الخزرجي القرطبي (ت 578هـ/ 1182م): **الصلة في تاريخ الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم**، تحقيق: بشار عواد، ط01، تونس: دار الغرب الإسلامي، 2010، ج1.

-ابن بطّال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ/1057م): **شروح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: مكتبة الرشد، ج9.

-البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت 555هـ/1160م): **أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين**، الرباط: دار المنصور، 1971.

-التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت 628هـ/1230م):

-**أخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: أحمد التوفيق؛ نشره بذيل التصوف، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1997.

-**التشوف إلى رجال التصوف**، تحقيق: أحمد التوفيق، الرباط: كلية الآداب، 1997.

-الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك السلمي (ت 279هـ/892م): **الجامع الصحيح**، الرياض: بيت الأفكار الدولية، [د.ت]

-التميمي، أبي محمد بن عبد الكريم الفاسي (ت 604هـ/1208م): **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تحقيق: محمد الشريف، ط1، تطوان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2002.

-التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا بن أحمد الصنهاجي الماسي (ت 1036هـ/ 1627م): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، طرابلس: كلية الدعوة الإسلامية، 1989.

-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني تقي الدين (ت 728هـ/ 1328م): **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهمية**، تحقيق: محمد بن عبد الرحمان بن قاسم، ط1، مطبعة الحكومة، 1971.

-الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ/1003م): **الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربية-**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1990، ج6.

-الجيلاني، أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله (ت 561هـ/1165م): **سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج الله الأبرار**، تحقيق: خالد محمد عدنان

الزراعي ومحمد غسان نصوح عزفول، ط1، دمشق: دار ابن قيم؛ دار السنابل، 1993.

-أبو الحجاج الضرير، يوسف بن موسى الكلبي السرقسطي المراكشي (ت 520هـ/1126م): **التنبيه والإرشاد**، تحقيق: سمير قويبع وآخرون، ط1، الرباط: منشورات وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية، 2014.

-ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت 852هـ/1448م):

-**الرؤى والأحلام في ضوء الكتاب والسنة**، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، [د.ت].

-**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، بيروت: دار المعرفة، [د.ت]، ج1.

-ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الفارسي القرطبي (ت 456هـ/1064م): **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمان عميرة، ط2، بيروت: دار الجيل، 1992، ج5.

-ابن حمامة، أبو عبد الله محمد بن منصور بن منير الزناتي المغراوي (ت 700هـ/1300م): **غرر المقالة في شرح غريب الرسالة**، تحقيق: الهادي حمو ومحمد أبو الأجفان، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.

-الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي (ت 727هـ/ 1327م): **الروض المعطار في أخبار الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت: مكتبة لبنان، 1984.

-أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي (ت 745ه/1344م): **البحر المحيط**، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخرون، ط01، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993، ج4.

-ابن الخراط، أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الأزدي الإشبيلي (ت 581ه/1185م): **العاقبة في الموت والحشر والنشور**، تحقيق: عبد الله أبو عبد الرحمان المصري الأثري، ط01، طنطا: دار الصحابة للتراث، 1990.

-ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني الغرناطي (ت 776ه/ 1375م):

-**الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1978، ج1.

-**أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، القسم الثالث منه؛ المنشور بعنوان: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1964.

-ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت 808ه/ 1405م):

-**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2000، ج6.

-**المقدمة**، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، 2001.

-ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد البرمكي الإربلي (ت 681هـ/1282): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، [د.ت]، ج5، ج6.

-ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد أبي القاسم الرعيني القيرواني (حي 1092هـ/1681م): **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، ط1، تونس: مطبعة الدولة التونسية، 1869.

-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م):

-**سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط3، بيروت: دار الرسالة، 1985، ج10-ج19.

-**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام -السيرة النبوية-**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس: دار الكتاب العربي، 1986، ج2.

-ابن راشد القفصي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله البكري (ت 736هـ/ 1335م): **المرقبة العليا في تعبير الرؤيا -تفسير الأحلام-**، تحقيق: عبد الباسط قوادر، ط01، لبنان: دار ومكتبة بيبليون، 2010.

-ابن رشد [الجد]، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (ت 520هـ/1126م): **البيان والتحصيل الشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، تحقيق: محمد حجي، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988، ج17.

-ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (حي 726هـ/1326م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، الرباط: صور للطباعة والوراقة، 1972.

-الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (حي 894هـ/1489م): **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق: محمد ماضور، ط2، تونس: المكتبة العتيقة، 1966.

-الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت 538هـ/1144م): **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط01، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998، ج1.

-ابن أبي زيد القيرواني، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان (ت 386هـ/ 994م):

-**اختصار المدونة والمختلطة**، تحقيق: أحمد عبد الكريم نجيب، ط1، الدار البيضاء: دار الجيل، 2013، ج4.

-**الجامع في سنن والآداب والمغازي والتاريخ**، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعثمان يطيخ، ط02، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983.

-**الرسالة في فقه الإمام مالك**، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1971.

-ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المذحجي الغرناطي (ت 685هـ/ 1286م): **كتاب الجغرافيا**، تحقيق: إسماعيل العربي، ط1، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970.

-السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت 1315هـ/1897م): **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1997، ج2.

-السهروردي، أبو حفص عمر بن محمد البكري البغدادي (ت 632هـ/ 1234م): **عوارف المعارف**، بيروت: دار المعرفة، 1912، ج4.

-ابن سيدبونة، أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد الخزاعي (ت 624هـ/ 1227م): **الشهاب موعظة لأولي الألباب**، تحقيق: عبد الإله بن عرفة، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، 2000.

-ابن سيرين، محمد (ت 110هـ/728م):

-**تفسير الأحلام**، تقديم: فؤاد بن سراج عبد الغفار، ط9، القاهرة: المكتبة التوفيقية، 2013.

-**منتخب الكلام في تفسير الأحلام**، تحقيق: محمود طعمة حلبي، ط5، بيروت: دار المعرفة، [د.ت].

-ابن سيرين، محمد (ت 110هـ/728م)؛ والنابلسي، عبد الغني (ت 1143هـ/ 1731م): **معجم تفسير الأحلام**، إعداد وترتيب: باسل البريدي، ط1، أبو ظبي: مكتبة الصفاء- بيروت: اليمامة، 2008.

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت 911هـ/1505م): **التوشيح -شرح الجامع الصحيح-**، تحقيق: رضوان جامع، ط1، السعودية: مكتبة الرشيد، 1998.

-ابن شاس، جلال الدين بن عبد الله (ت 616هـ/1219م): **عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة**، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعبد الحفيظ منصور، ط01، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995، ج3.

-الشعراني، أبو عبد الرحمان عبد الوهاب بن أحمد الأنصاري المصري (ت 973هـ/1566م): **الطبقات الكبرى**، تحقيق: أحمد عبد الرحيم وتوفيق علي وهبة، ط01، القاهرة: مكتبة الثقافة، 2005، ج1.

-الشهاب العابر، أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور (ت 697هـ/1298م): **البدر المنير في علم التعبير وشرحه**، تحقيق: حسن بن محمد جمعة، ط1، بيروت: مؤسسة الريان، 2000.

-الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ/1153م): **نهاية الإقدام في علم الكلام**، نشره ألفرد جيوم، ط1، القاهرة: منشورات الثقافة الدينية، 2009.

-الصومعي، أبو العباس أحمد بن أبي القاسم الهروي التادلي (ت 1013هـ/ 1604م): **المَعْزى في مناقب الشيخ أبي يَعْزى**، تحقيق: علي الجاوي، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، 1996.

-أبو طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت 386هـ/996م): **قوت القلوب**، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، القاهرة: دار الرشاد، 1991م، ج1.

-العباس بن إبراهيم، أبو الفضل بن محمد المراكشي (ت 1378هـ/1958م): **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ط02، الرباط: المطبعة الملكية، 2002، ج7-8.

-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري الأندلسي (ت 463هـ/1071م): **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد ومحمد عبد الكريم البكري، الرباط: المكتبة العامة، ج1.

-عبد الله-الأمير، بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري (ت 483هـ/ 993م): **التبيان -مذكرات الأمير عبد الله-**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مصر: دار المعارف، 1955.

-عبد الواحد المراكشي، أبو محمد بن علي التميمي (ت 647هـ/1249م): **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1963.

-ابن عِذارى، أبو العبّاس أحمد بن محمد المراكشي (حي 712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: إحسان عباس، ط3، بيروت: دار الثقافة، 1983، ج4.

-ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي (ت 543هـ/ 1148م): **أحكام القرآن**، تحقيق: طه بن علي بوسيح، ط01، بيروت: دار ابن حزم، 2005، ج3-ج4.

-ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمان بن تمام (ت 542هـ/1147م): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزير**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافعي محمد، 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001، ج4.

-ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد العكري الصالحي (ت 1089هـ/ 1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط01، دمشق- بيروت: دار ابن كثير، 1986، ج8.

-ابن عيشون، أبي عبد الله محمد الشراط (ت 1697هـ/1109م): **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، تحقيق: زهراء النظام، ط01، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1997.

-الغُبريني، أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي (ت 704هـ/1305م): **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: علي نويهض، ط02، بيروت: دار الأفاق، 1979.

-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت 505هـ/1112م): **إحياء علوم الدين**، بيروت: دار المعرفة، 1912، ج4.

-ابن الفرس الأندلسي، أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي (ت 597هـ/1200م): **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003.

-الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (ت 817هـ/1414م): **القاموس المحيط**، أشرف على تحقيقه: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005.

-ابن القاضي، أبو العبّاس أحمد بن محمّد المكناسي (ت 1025هـ/1616م): **جذوة الاقتباس فيمن حلّ من الأعلام بمدينة فاس**، الرباط: دار المنصور، 1973.

-القاضي عبد الوهاب، أبو محمد بن نصر (ت 422هـ/1031م): **المعونة على مذهب عالم المدينة**، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.

-القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن عياض السبتي اليحصبي (ت 544هـ/1149م): **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: يحيى إسماعيل، ط1، المنصورة: دار الوفاء، 1998، ج7.

-ابن قتيبة الدينوري، أبي محمد عبد الله مسلم (ت 276هـ/889م): **تعبير الرؤيا**، تحقيق: إبراهيم صالح، ط1، دمشق: دار البشائر، 2001.

-القرافي، أبو العبّاس بن إدريس الصّنهاجي المصري (ت 684هـ/1285م): **الذخيرة**، تحقيق: محمد حجي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994.

-القرطبي، أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (ت 656هـ/1285م):

-**تلخيص صحيح مسلم**، تحقيق: رعت فوزي وأحمد إبراهيم، ط2، القاهرة: دار السلام.

-**المفهم**، تحقيق: عبد الهادي التازي، ط01، المغرب: منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، 2005، ج6.

-القشيري، أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن الشافعي (ت 465هـ/1072م): **الرسالة القشيرية**، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، القاهرة: دار المعارف، [د.ت]، ج2.

-ابن القطان، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (حي 650هـ/1252م): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990.

-ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن الحسن القسنطيني (ت 809هـ/1406م): **أنس الفقير وعز الحقير**، تحقيق:محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، 1965.

-ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت 751هـ/1350م): **كتاب الروح**، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، جدة: دار عالم الفوائد، 2008، ج1.

-الكتاني، أبو عب الله محمد بن جعفر الفاسي (ت 1345ه/1926م): **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن قبر من العلماء والصلحاء بفاس**، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وآخران، ط1، الدار البيضاء: دار الثقافة، 2004، ج2.

-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت 774ه/1373م): **البداية والنهاية**، ط01، بيروت: مكتبة المعارف، 1996، ج12.

- اللائكي، أبي القاسم هبة الله الحسن الطبري (ت 418ه/1027م): **كرامات أولياء الله -إظهار آيات أصفيائه من الصحابة والتابعين والخالفين لهم ومن بعدهم من المتأخرين-**، تحقيق: أحمد سعد حمدان، ط1، الرياض: ذار طيبة، 1992.

-ابن ماجة، أبو عبد الله بن يزيد الربعي القزويني (ت 273ه/886م): **سنن ابن ماجة**، الرياض: بيت الأفكار الدولية، [د.ت].

-المازري، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي (ت 536ه/ 1141م): **المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: محمد الشاذلي، ط2، تونس: الدار التونسية، 1987، ج3.

-مالك-الإمام، أبو عبد الله بن أنس الأصبحي الحميري (ت 179ه/795م): **الموطأ**، تحقيق: سليم بن عبد الهلالي السلفي، دبي: مجموعة الفرقان التجارية، 2003، مج4.

-مجهول (حي 783ه/1381م): **الحلل الموشّية في ذكر الأخبار المرّاكشية**، تحقيق: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1979.

-مسلم، أبو الحسين بن الحجّاج القشيري النيسابوري (ت 261ه/875م): **الجامع الصحيح**، الرياض: بيت الأفكار الدولية، 1998.

-المقري، أبو العباس أحمد بن محمد القرشي التلمساني (ت 1041هـ/ 1632م): **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1988، ج4.

-ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي (ت 711هـ/ 1311م): **لسان العرب**، القاهرة: دار المعارف، [د.ت]، ج18.

-النبهاني، يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين (ت 1849هـ/1932م): **سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين**، بيروت: دار المعرف، 1900.

-النفراوي، أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا شهاب الدين الأزهري المالكي (ت 1126هـ/1714م): **الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، بيروت : دار الكتب العلمية، ط1، 1997، ج2.

-اليابري، عبد الله بن طلحة بن محمد أبو بكر (ت 523هـ/1128م): **المختصر في أصول الدين، تحقيق: محمد الطبراني**، 1، الرباط. دار الأمان للنشر والتوزيع، 2013.

-ياقوت الحموي، أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت 626هـ/ 1229م): **معجم البلدان**، بيروت: دار صادر، 1977، مج3.

II- المراجع:

1- الكتب:

-أومليل، علي: **السلطة الثقافية والسلطة السياسية**، ط01، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996.

-بنسباع، مصطفى: **السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف مابين عصري المرابطين والموحدين**، تقديم: محمود بنعبود، ط01، تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1999.

-بوتشيش، إبراهيم القادري:

-**الإسلام السري في المغرب العربي**، القاهرة: سينا للنشر، 1995.

-**تاريخ الغرب الإسلامي -قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة-**، بيروت: دار الطليعة، 1994.

-**المغرب والأندلس في عصر المرابطين -المجتمع، الذّهنيات، الأولياء-**، بيروت: دار الطليعة، 1993.

-بوتشيش، إبراهيم القادري وآخرون: **التصوف السني في تاريخ المغرب - نسق نموذجي للوسطية والاعتدال-**، الرباط: منشورات الزمن، 2010.

-بولطيف، لخضر: **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، الجزائر: دار الصديق، 2015.

-بونابي، الطاهر:

-**التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و7ه/12 و13م -نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي-**، عين مليلة: دار الهدى، 2004.

-**عصر المتصوفة بالمغرب الأوسط -دراسة في الحركة الصوفية خلال العصر الوسيط (الماهية، المجال، المدارس، الأدوار) من القرن 2ه/8م إلى القرن 7ه/13م-**، المسيلة: منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2017، ج01.

-الجابري، محمد عابد: **العقل السياسي العربي -محدداته وتجلياته-** ، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990م.

-حجازي، مصطفى: **التخلف الاجتماعي -مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور-**، ط9، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.

-خوالدية، أسماء: **الرمز الصوفي بين الإغراب بداهة والإغراب قصدا**، ط1، الرباط: دار الأمان، 2014.

-أبو الخير، أحمد مصطفى: **التراث العربي في كتب تفسير الأحلام -دراسة في اللغة والثقافة والحضارة-**، دمياط: مكتبة نانسي، 2006.

-دندش، عصمت عبد اللطيف: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430-515ه/1038-1121م)**، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988.

-الديلمي، سليمان: **عالم الأحلام تفسير الرموز والإشارات**، ط1، بيروت: دار الكتب ا لعلمية، 2006.

-ريس، أسامة عبد القادر: **الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية**، ط1، السعودية: دار الأندلس، 1993.

-زيعور، علي:

-**تفسيرات الحلم وفلسفات النبوة**، ط1، بيروت: دار المناهل، 2000.

-**الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم -القطاع اللاواعي في الذات العربية-**، ط2، الرياض: دار الأندلس، 1984.

-السلمي، جعفر بن الحاج: **الأسطورة والمغرب الأقصى -دراسة تنسيقية تفسيرية لتاريخ المغرب الأسطوري وجغرافيته-**، ط1، تطوان: جمعية تطوان أسمير، 2013.

-الطهطاوي، أحمد عبد العال: **تفسير الأحلام من كلام الأئمة الأعلام (محمد بن سيرين، البخاري، ابن حجر) -تفسير أحلام المرأة-**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005.

-عارف، محمد ومحمد عزت، أبو الفداء: **عجائب تفسير الأحلام بالقرآن**، ط2، عمان: دار يافا العلمية، 2008.

-عبد الوهاب، محمد حلمي: **ولاة وأولياء -السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط-**، ط1، بيروت: الشبكة العربية، 2009.

-العروي، عبد الله: **مفهوم العقل -مقالة في المفارقات-**، ط3، الدار البيضاء: مركز الثقافي العربي، 2001.

-العريني، أحمد بن سليمان: **الرؤى والأحلام في سنة هادي الأنام**، تقديم: عبد الله بن محمد الغنيمان، ط1، الرياض: دار الوطن العربي، 1996.

-علام، عبد الله: **الدعوة الموحدية بالمغرب**، ط1، القاهرة: دار المعرفة، 1964.

-عنان، محمد بن عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس -عصر المرابطين والموحدين-**، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990، ج3.

-عنايت، راجي: **تفسير الأحلام والتنجيم**، ط1، القاهرة: دار الشروق، 1991.

-العوضي، محمد: **أحكام تفسير الرؤى والأحلام في القرآن والسنة**، ط1، القاهرة: مكتبة السنة، 1999.

-فروم، إريك: **اللغة المنسية -مدخل إلى فهم الأحلام والحكايات والأساطير-**، ترجمة: حسن قبسي، ط1، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2001.

-فريد، أحمد: **تعجيل السقيا في تعبير الرؤيا**، ط1، جدة: مكتبة الصحابة، 1998.

-القبلي، محمد: **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، ط1، الدار البيضاء: دار توبقال، 1987.

-مفتاح، محمد: **الخطاب الصوفي في الغرب الإسلامي -مقاربات وظيفية-**، القاهرة: دار رؤية، 2013.

-موسى، عز الدين عمرو: **الموحدون في الغرب الإسلامي -تنظيماتهم ونظمهم-**، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1991.

-النجار، عبد المجيد: **المهدي بن تومرت -حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب-**، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983.

-الهاشمي، عبد المنعم: **رؤيا الأنبياء والصالحين**، ط1، بيروت: دار ابن حزم العلمية، 2005.

-الودعان، محمد بن فهد بن إبراهيم. **ضوابط الرؤيا**، ط1، الرياض: دار كنوز اشبيليا، 2007.

-الوردي، علي: **الأحلام بين العلم والعقيدة**، ط2، لندن: دار كوفان، 1994.

2- الدوريات:

-البدراوي، محمد اليعقوبي: "إحراق كتاب الإحياء في الغرب الإسلامي"، **مجلة المناهل** (الرباط)، ع1977/09، ص312-323.

-بولقطيب، الحسين: "ابن تومرت وتجديد الفكر الإسلامي"، **مجلة الاجتهاد** (بيروت)، ع1993/20، ص59-83.

-الجراري، عباس: "الموحدون -ثورة سياسية ومذهبية-"، **مجلة المناهل** (الرباط)، ع1974/01، ص84-121.

-زمامة، عبد القادر: "البيذق والمهدي بن تومرت"، **مجلة المناهل** (الرباط)، ع1979/16، ص204-214.

-زنبير، محمد: "الخلفية الاجتماعية الثقافية لحركة المهدي بن تومرت"، **مجلة المناهل** (الرباط)، ع1982/24، ص107-140.

-السحيباني، حمد بن صالح: "الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت"، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** (الرياض)، ع1992/06، ص533-586.

-اليملولي، رشيد: "التصوف في التاريخ المغربي الوسيط: بعض ملامح المشروع السياسي"، **مجلة كان التاريخية** (إلكترونية)، ع2015/29، ص103-112.

3- الملتقيات:

-بوتشيش، إبراهيم القادري: "واقع الأزمة والخطاب الإصلاحي في كتب المناقب والكرامات (12-13م)"، ضمن أعمال اليوم الدراسي: "**الإسطوغرافيا**

والأزمة –دراسة في الكتابة التاريخية والثقافية–"، الرباط: 25 فبراير 1989، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1994.

–زنبير، محمد: "أزمة الحكم الموحدي في النصف الأول من القرن السابع الهجري (الثالث عشر ميلادي)، ضمن أعمال اليوم الدراسي: " **الإسطوغرافيا والأزمة –دراسة في الكتابة التاريخية والثقافية–**"، الرباط: 25 فبراير 1989، الرباط: منشورات كلية الآداب، 1994.

–القبلي، محمد: "حول مضمرات التشوف"، ضمن أعمال ملتقى: "**التاريخ وأدب المناقب**"، الرباط: 08–1988/04/09، الرباط: منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1989.

–مفتاح، محمد: "السياسة الحيوانية –قراءة في كرامات أبي يعزى–"، ضمن أعمال الدائرة المستديرة: "**التاريخ واللسانيات –النص ومستوى التأويل–**"، مراكش: 25–26 ماي 1990، تنسيق: عبد الأحد السبتي، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 1992.

4– الرسائل الجامعية:

–ريس، عبد القادر: "**الرؤى والأحلام بين النصوص الشرعية ومدرسة التحليل النفسي**"، رسالة ماجستير، قسم علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1990.

–المداني، حريرة: "**الرمزية الصوفية في الأزمات الاجتماعية –الكرامات وتمثلاتها في المغرب الأوسط (ق10–14هـ)**"–، رسالة ماجستير، قسم علم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة السانيا، وهران، 2010.

-المغراوي، محمد: "**العلماء والصلحاء والسلطة بالمغرب والأندلس في عصر الموحدين**"، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2002.

-مقورة، سمية: "**تمثلات الثقافة الفقهية في الغرب الإسلامي وأثرها في تشكيل المخيال الجمعي**"، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2015.

الكشافات

01- كشاف الآيات القرآنية

02- كشاف الأحاديث النبوية

03- كشاف الأعلام البشرية

04- كشاف الأعلام الجغرافية

01- كشاف الآيات القرآنية

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفْ وَتَنْهَوْنَ عَنْ المُنْكَرِ يُؤْمِنُونَ بالله وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَّ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ المُؤْمِنُونْ وَأَكْثَرُهُمْ الفَاسِقُونْ﴾	110	آل عمران	61
﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾	43	الأنفال	20
﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	5-4	يوسف	21
﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾	6	يوسف	17
﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	36	يوسف	21

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾	41	يوسف	21
﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بعالمين﴾	43	يوسف	22
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾	100	يوسف	22
﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	36	الإسراء	30
﴿إِنَّ أَصْحَابَ الجَنَّةَ اليَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونْ﴾	55	يس	84
﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾	102-105	الصافات	22
﴿إِنَّكَ مَيِتٌ وَإِنَهُمْ مَيِتُونْ﴾	31	الزمر	63
﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرْ﴾	08-10	المدثر	52

عَلَى الكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرْ﴾			
﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَاب الفِيلْ﴾	1	الفيل	52

02- كشاف الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
«إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب»	28
«إذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب»	31
«إن في أمتي محدثين وإن عمر منهم»	62
«إني عبد الله خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته»	23
«أول مابدئ به الرسول صلى اله عليه وسلم الرؤيا الصالحة»	25
«الرؤيا جزء من أربعين جزءً من النبوة»	26
«الرؤيا جزء من سبعين جزءً من النبوة»	26
«الرؤيا جزء من ستة وعشرين جزءً من النبوة»	26
«الرؤيا جزء من ستة وعشرين جزءً من النبوة»	26
«الرؤيا الصالحة من الله»	30
«لم يبق من النبوة إلا المبشرات»	26
«هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا»	25
«من رآني في المنام فقد رآني حق فإن الشيطان لا يتمثل بي»	28

03- كشاف الأعلام البشرية

-أ-

إبراهيم عليه السلام: 19، 21، 22.

إبراهيم إسحاق الهزرجي: 78، 87.

أبو بكر بن عمر اللمتوني: 41، 42، 43، 44

أحمد بن محمد الكندي: 33.

الأذفنش: 49، 50.

-ب-

البيذق: 50.

-ت-

ابن تومرت: 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 59، 60، 61، 62، 63، 67.

-ج-

عبد الجليل بن ويحلان: 82.

-ح-

أبو الحسن بن علي بن عبد الرحمان الهواري: 85.

ابن حرزهم، إسماعيل: 74.

-د-

أبو دبوس: 66، 67.

-ر-

رابعة العدوية: 34.

ابن راشد القفصي: 18.

-ز-

أبو زكرياء، الفقيه: 48.

أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر الزناتي المعلم: 87.

زينب النفزاوية: 43.

-س-

السالمي: 18.

سيجموند فرويد: 19.

ابن سيدبونة:90، 91، 92.

ابن سيرين: 18.

-ش-

الشهاب العابر: 18.

-ص-

صنغ: 48.

-ط-

أبو طالب القيرواني: 18.

-ع-

أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي: 53.

أبو العباس السبتي: 80، 81، 82.

عبد الحليم المراسني الغماد: 90، 91.

عبد السلام بن ولجوط العزفي: 87.

عبد القادر الجيلاني: 70.

أبو عبد الله التادلي: 78، 79.

أبو عبد الله الدقاق: 71، 72، 73، 74.

أبو عبد الله العطار. 76.

عبد الله الغزواني. 76.

أبو عبد الله محمد بن موفق: 89.

عبد الله بن مسعود الكوش: 76.

أبو عبد الله بن ورد الأندلسي: 64.

عبد المؤمن بن عشير: 50.

عبد المؤمن بن علي. 47، 48، 49، 50، 51.

-غ-

الغزالي: 65، 66، 85.

-ق-

ابن قتيبة الدينوري: 18.

-م-

محمد صلى الله عليه وسلم: 20، 23، 25.

أبو مدين شعيب: 86، 91.

المعتمد بن عباد: 54.

المنصور الموحدي: 55، 56، 62، 63، 64، 67.

-ن-

النابلسي: 18.

-و-

الونشريسي: 59، 60، 61، 62.

-ي-

أبو يعزى: 75، 76، 77، 79، 80.

يعقوب عليه السلام:21.

أبو يعقوب الزيات: 76.

يوسف عليه السلام: 19، 20، 21، 22.

يوسف بن أمغار الصنهاجي: 87.

يوسف بن تاشفين: 40، 42، 43، 44، 51، 53، 54، 55.

04- كشاف الأعلام الجغرافية

-أ-

الأرك: 55.

الأندلس: 53، 54، 55.

-ب-

بجاية: 46، 47.

بغداد: 65.

-ت-

تلمسان: 47.

تونس: 45.

تينملل: 46.

-ج-

جبل أمسيون: 89، 90.

-ز-

الزلاقة: 51، 54.

بنو زلدوي: 48.

-ص-

الصحراء: 41، 42، 43.

-ط-

طرابلس: 45.

-ف-

فنزارة: 49.

-ق-

قرطبة: 54.

قسنطينة: 46.

قشتالة: 52، 54.

-م-

متيجة: 49، 50.

مراكش: 55.

مرسية: 62.

المشرق: 44، 46، 47، 48.

المغرب: 41، 42، 43، 44، 45، 46، 49،47.

المهدية: 45.

فهرس المحتوى

الموضوع الصفحة

المقدمة: ..... (01-12)

الفصل الأول: مقام الرؤى والمنامات في الثقافة الإسلامي.....(13-39)

أولا: الرؤى والأحلام.. المصطلح والدلالة.....14

ثانيا: الرؤى والمنامات في القرآن الكريم 20

ثالثا: الرؤى والمنامات في السنة النبوية 24

رابعا: الرؤى والمنامات في المدونة الفقهية.....29

خامسا: الرؤى والمنامات في المدونة الصوفية.....32

سادسا: الرؤى والمنامات في المدونة الكلامية.....36

الفصل الثاني: خطاب الرؤى في التاريخ السلطاني –الموضوعات والغايات .....(40-68)

أولا: في حيازة السلطة.....41

ثانيا: في تحقيق الانتصار.....52

ثالثا: في التعالي بالسياسي.....57

رابعا: في حِدْثان الدول 64

الفصل الثالث: خطاب الرؤى في التاريخ الولائي –الموضوعات والغايات .....(69-93)

أولا: في الحد من غلواء السلطة 70

ثانيا: في التحرر من سطوة المال.....78

ثالثا: في حفظ مقام الولاية 84

رابعا: في موعظة المريدين 88

الخاتمة:..... (94-97)

الملاحق:..... (98-100)

الوراقية:..... (101-122)

الكشافات:..... (123-130)

فهرس المحتوى.....131

تم بحمد الله